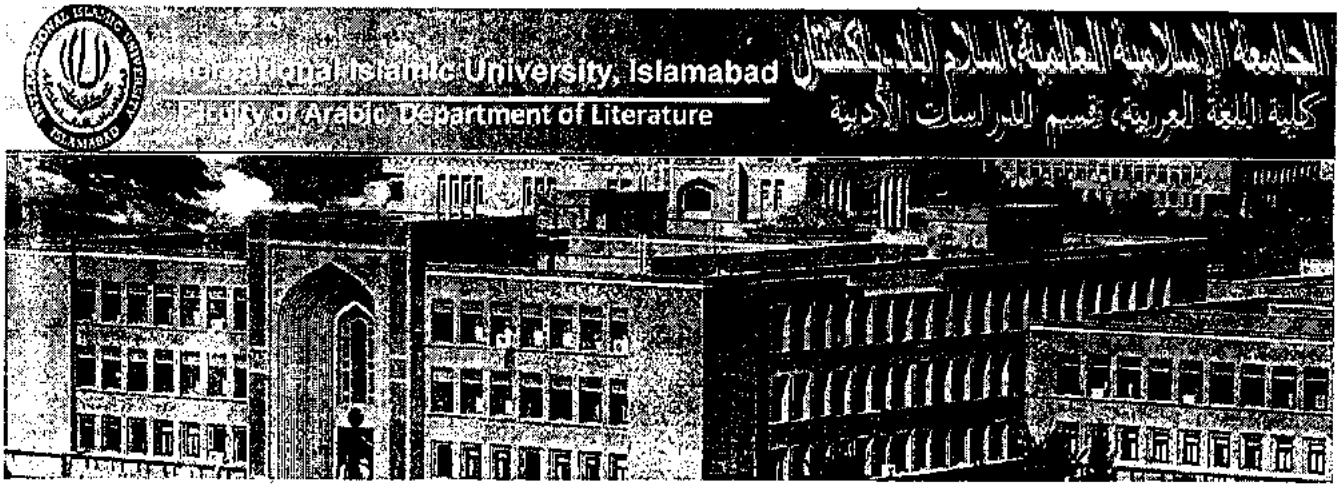

السيرة الذاتية عند الدكتور يوسف القرضاوي

(دراسة موضوعية فنية من خلال مرحلتي الصبا وطلب العلم)

بحث لنيل درجة ماجستير الفلسفة في الأدب

تحت إشراف: **الدكتور الفاضل محمد علي غوري** (حفظه الله تعالى)

الأستاذ المشارك ورئيس وحدة اللغة العربية

بكلية اللغة العربية

إعداد الطالبة: **فريال عنبرين**

رقم التسجيل: ٠٧/FA/MPhilPhD-١

العام الدراسي: ٢٠١١م الموافق ١٤٣٢هـ

International Islamic University
CENTRAL LIBRARY
Islamabad

Accession No. TH-8259

MS

297.092

ف ر ف

ا. القرضاوي، يوسف سماح

لجنة المناقشة للحصول على درجة ماجستير الفلسفة في الأدب العربي

أجريت مناقشة البحث الذي قدمته الطالبة فريال عنبرين

بعنوان

"فن السيرة الذاتية عند الدكتور يوسف القرضاوي"

(دراسة موضوعية فنية من خلال مرحلتي الصبا وطلب العلم)

بتاريخ: ١١ /٠١ /١٤٣٣هـ الموافق: ٠٨/ ١٢ /٢٠١١م

ومنحت صاحبته درجة ماجستير فلسفة في الأدب العربي بتقدير ( )

أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل وتوقيعاتهم

	الاسم	التوقيع
المشرف على البحث	الدكتور محمد على غوري	
المناقش الخارجي	الدكتورة فضيلة داؤود	
المناقش الداخلي	الدكتور نور جمعة	

الملاحظات:

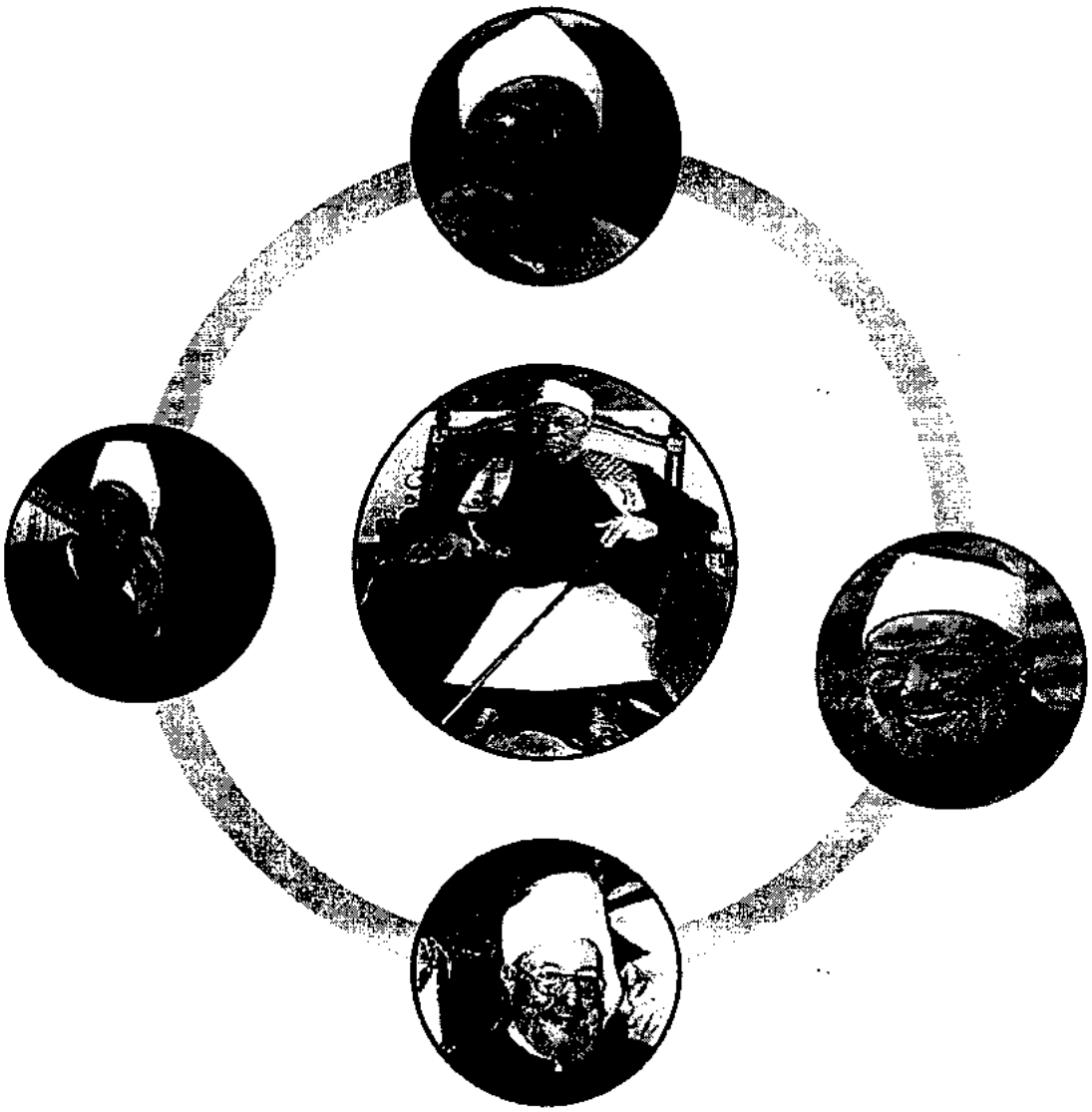

الصور المختلفة للدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

يوسف: ٧٦

قال المزنيُّ صاحب الشافعيِّ[1]:

"لو عرض كتاب سبعين مرة لوجدنا فيه خطأ، وأبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه".

وأتوجه بالرجاء إلى رجال العلم والأدب، أن يبعثوا إليّ بما يستدركون على البحث من نقص يلازم الإنسان، أو خطأ يفوت جهد الحريص؛ ليثبت ما يصح منه في النسخة الأخيرة.

*هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، من أهل مصر، كان عالماً قوي الحجة مجتهداً زاهداً، وهو إمام الشافعيين، توفي عام ٢٦٤هـ (ترجمته في "وفيّات الأعيان" لابن خلكان)

الإهداء

- إلى جميع أساتذتي وخاصة مشرفي الكريم الأستاذ الفاضل الدكتور محمد علي غوري (بارك الله في عمره) الذي بذل لي أصدق النصح وأجود العطاء وشجعني على الرغم من أخطائي
- إلى أمي الحنونة وأبي الودود، لو قدمت روحي فداهما ما وفيتهما
- إلى شريك العمر، باعث الهمة، شادّ الأزر، سكن النفس، زوجي الغالي راجا محمد فاضل خان الذي صبر على إهمالي عن واجباتي نحوه، وإلى بيتي، وكان عوناً لي في رعاية أولادي وتربيتهم وقت تغيُّبي عن المنزل
- إلى أبنائي -قرة عيني- معاذ ودحية ويحيى الذين تحملوا فراقي بكمال الصبر ودعوا الله لي رافعين أياديهم الصغيرة لإتمام بحثي كي يأخذوا حقهم مرة أخرى
- إلى ابن أختي ياسر محمود الذي جآء من كراتشي لمساعدتي في ترتيب وتزيين هذه الرسالة
- إلى جميع أخواتي وصديقاتي وإخوتي الذين شجعوني وساعدونني بدعواتهم الصادقة
- إلى جميع أهل زوجي الذين قدموا ما في وسعهم لرعاية أولادي وبيتي لأجل إتمام دراستي وخاصة تكملة هذا البحث
- إليهم جميعاً أهدى باكورة ثمار هذا البحث المتواضع.

كلمة الشكر والتقدير

❖ الحمدلله والصلاة والسلام على محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا نبي بعده، أولاً أشكر ربي شكراً خالصاً لا حدود له، وأسجد له عرفاناً بكرمه على إنجاز هذا البحث، فله الحمد كله وله الشكر كله.

❖ وأخص جزيل الشكر والامتنان إلى المشرف على بحثي الأستاذ المكرم الدكتور محمد علي غوري (بارك الله في عمره وزاد في علمه ورزقه الصحة والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة) الذي كان لي نبراساً يضيء دربي بالنصح والتوجيهات، ولم يبخل عليّ بأعز أوقاته، وأشكر زوجته الطيبة الأخت حميراء التي ساعدتني وكانت بمثابة الأخت الشقيقة في كل مراحل كتابة البحث.

❖ وأحرص على أن أسجل الشكر لكل من أسهم في إعداد هذا البحث من السادة أساتذة كلية اللغة العربية، وجدتهم مثل السحاب والبحر الزاخر، دائماً مشغولون في خدمة اللغة العربية ومساعدة الطلبة والطالبات، ومنهم فضيلة الأستاذة الدكتورة زيتون بيغم (رعاها الله تعالى) التي ساعدتني منذ اليوم الأول في جميع الأمور وساعدتني على حل المشاكل التي واجهتني في هذه الجامعة، ولابد من توجيه كلمة الشكر والتقدير إلى الدكتور محمد سعيد شلبي والأستاذ عبد الجبار عبدالرحمن اللذين أفاداني بملحوظاتهما وإشاراتهما القيّمة، وقوّما لي ما أعوج من شرح الألوان البلاغية في البحث مما عاد علي بعظيم النفع وجزيل الفائدة، والدكتور محمد أحمد مليجي، والدكتور محمد ناشي لتشجيعهما المسلسل وإرشاداتهما القيّمة في تصحيح بعض القواعد (أدام الله تعالى فيوضاتهم وبركاتهم على طلبة العلم).

❖ وأتقدم بالشكر إلى رئيس الجامعة الإسلامية العالمية السابق الدكتور أنوار حسين صديقي الذي شجعني تشجيعاً صادقاً على مواصلة الدراسة العليا والذي سهّل لي الصعوبات التي واجهتها في الحصول على الإجازة الدراسية من أكاديمية الدعوة، فأدعو له من أعماق قلبي.

❖ وأقدم جزيل الشكر إلى الدكتور صاحبزادة ساجد الرحمن (مدير أكاديمية الدعوة) الذي ساعدني على منح الإجازة الدراسية لمدة سنتين كاملتين رغم المشاكل الأدارية، وأشكر زميلتي العزيزة شكفتة عمر التي ضحّت لي كثير وصبرت على الصعوبات التي واجهتها خلال تغيُّبي عن مكتبي.

❖ ولا يفوتني أن أقرّ بجميل الشكر للأستاذ السيد شكيل شاه (نائب مدير قسم المعلومات التكنالوجيا) الذي ساعدني في إخراج هذا البحث بصورة مقبولة، وسهل لي بعض الصعوبات التي واجهتها خلال تعاملي مع الحاسوب الآلي.

❖ ولا أنسى تقديم الشكر الجزيل وفائق التقدير إلى جميع أفراد أسرتي، وخاصة زوجي الكريم لأن له فضل كبير في كل مرحلة من مراحل طلبي للعلم وهو رجل "فاضل" بمعنى الكلمة.

❖ وأخيراً أرى من الواجب أن أسجل شكري وامتناني لكل من أسهم وقدّم لي عوناً في سبيل إنجاز هذا البحث المتواضع.

❖ إلى كل هؤلآء أتقدم بوافر الدعاء بأن يجزيهم الله أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة.

المقدمة

المقدمة

الحمد للّه ربّ العالمين، الهادي والمعين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبيّنا محمد، المرسل رحمة للعالمين، وحجّة على العباد أجمعين، وعلى أصحابه الذين حملوا كتاب ربّهم سبحانه وتعالى، وسنة نبيّهم صلى الله عليه وسلم إلى من بعدهم بغاية الأمانة والإتقان والحفظ التّام للمعاني والألفاظ رضي اللّه عنهم وأرضاهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

أهمية الموضوع:

السيرة فن قصصي يجمع بين التاريخ والأدب، عرفه العرب منذ القدم، وهو أحد أهم المصادر التي أمدت القصص الفني بتقنيات السرد، وقد عد بعض الباحثين السيرة النبوية العطرة مرحلة انتقالية بين الشكل القصصي الذي عرفه العرب قبل الإسلام وبين الشكل الذي تطور فيما بعد ليعرف بالقصص العربي، مؤكدا أن لها تأثيرا كبيرا على القصة العربية حيث توجهت أنظار العرب إلى ((فن السيرة))، فأولوه اهتماهم واعتنوا به واتخذوا له أشكالا عدة كان من أهمها فن السيرة الذاتية، وهذا الفن يستمد جماله من روح كاتبه وقدرته على خلقها في قالب روائي ممتع، وكاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوبنا، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته، حديثاً يلقى منا أذناً واعيةً، لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، و يوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسراره وخباياه؛ وهذا الشيء يبعث فينا الرضى.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، ودراسته دراسة موضوعية فنية بعض الأمور التي نبتت في نفسي، أبرزها ما يأتي:

١. حرصي على دراسة الأدب الذي تربطه وشيجة قوية بالإسلام، وهذا متحقق في هذا الموضوع؛ فهو يرتبط بالدعوة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً؛ لأنه يكشف عن أهم مراحل حياة شيخ الصحوة الإسلامية الدكتور يوسف القرضاوي (حفظه الله تعالى).

٢. إن العلماء مصابيح الهدى، بهم يهتدي الناس إلى الحق المبين؛ فمن أجل ذلك وجب على الناس تكريمهم، وإن أهل الكفر ليكرمون قوادهم في الباطل، مسبغين عليهم هالة

من التعظيم والتوقير، وهم لا يستحقون ذلك، أما نحن – معشر الإسلاميين – فلا نعرف للعالم فضله إلا بعد وفاته، مبررين عدم تكريمه في حياته، بأنه من باب المدح في الوجه المنهي عنه، ولكن هناك جواز مدح الرجل في وجهه بما فيه، والمكروه من ذلك مدحه بما ليس فيه، فلذا آثرت أن أتحدث عن الشيخ يوسف القرضاوي، وهو موجود بيننا (أدام الله تعالى بركاته وفيوضه).

٣. يعرف أكثرالناس أن الشيخ القرضاوي هو فقيه مجتهد، ومفكر متعمق، وباحث مدقق، وهو خطيب مصقع مفوّه، ولكن الجانب الذي لا يعرفه أكثر الناس فيه هو أن الرجل- فوق هذا كله- شاعروأديب؛ فأردت أن أدرس سيرته الذاتية التي قدّمها إلى مجال الأدب بقلمه هو، وأكتب عن إمام الفقه والدعوة الإسلامية من حيث كونه أديباً إسلامياً معاصراً .

٤. جدة الدراسة في هذا الموضوع ؛ فلم أجد من درسه من قبل دراسة موضوعية فنية ، لا في رسالة علمية ولا في غيره؛ ولهذا هو في حاجة إلى دراسة علمية تكشف ملامحه الموضوعية والفنية ، وتجلى قيمته العالية للمتلقي ؛ ليفيد منه على الوجه المطلوب.

٥. حرصي على تعميق خبرتي بالنصوص الأدبية ، ودراسة هذا الموضوع دراسة فنية واسعة تحقق لي هذه الغاية؛ إذ تعطيني خبرة بهذه النصوص، وتوفر لي دربة على تحقيقها، وكيفية تحليلها.

٦. إن أهم ما يلحظه الكاتب في السيرة، النمو والتطور والتغير في الشخصية مع مراحل التقدم فى السن، وإن مرحلة الطفولة والصبا والشباب تؤثر كثيراً على مسيرة حياة الإنسان وتصرفاته وسلوكه ومواقفه؛ هذا ما يقول أصحاب الاتجاه النفسي في الأدب، لذلك درست هذه المراحل من حياة الدكتور يوسف القرضاوي.

الدراسات السابقة في الموضوع:

بحثت في بعض المكتبات والشبكة الدولية (الانترنت)، عن الدراسات السابقة فلم أجد دراسة متفردة في فن السيرة الذاتية عند الدكتور القرضاوي، ولكن هناك دراسات أخرى، وهذه الدراسات ركزت على شعر الدكتور القرضاوي وآرائه الفقهية وحياته وجهوده في المجالات المختلفة، وبقي موضوع سيرته الذاتية مفتوحاً للدراسة؛ لكي تكشف عن جوانبه المهمة، وتوفيه حقه، وتضعه في المكانة اللائقة به، فلعلّ دراستي هذه – إن شاء الله تعالى– سوف تغطّي هذا الجانب.

المنهج المتبع في كتابة البحث:

المنهج الذي نهجته في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يأخذ من جميع الاتجاهات في تفسير الأدب.

خطة البحث:

وأما الخطة التي اتبعته في كتابة البحث فقد كانت تشتمل على تمهيد وثلاثة فصول، أذكرها إجمالاً:

التمهيد، وهو يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: فن السيرة؛ نشأته وتطوره وأهم أعلامه.

المبحث الثاني: نبذة عن حياة الدكتور يوسف القرضاوي.

الفصل الأول: دراسة موضوعية لطفولة الدكتور القرضاوي وصباه من خلال سيرته الذاتية.

الفصل الثاني: دراسة موضوعية لشباب الدكتور القرضاوي من خلال سيرته الذاتية.

الفصل الثالث: دراسة فنية لسيرة الدكتور القرضاوي الذاتية من خلال:

١ العاطفة ٢– الخيال ٣– البناء ٤– اللغة والأسلوب.

الخاتمة: خلاصة البحث ونتائجه.

والله جل جلاله أسأل أن يجعل هذه الدراسة المتواضعة في ميزان حسناتي يوم القيامة، اللهم آمين.

التمهيد

المبحث الأول: فن السيرة الذاتية: نشأته وتطوره وأهم أعلامه

المبحث الثاني: نبذة عن حياة الدكتور يوسف القرضاوي (حفظه الله تعالى)

المبحث الأول

فن السيرة الذاتية؛ نشأته وتطوره وأهم أعلامه

قبل أن أتناول السيرة الذاتية للدكتور يوسف القرضاوي، من المناسب أن أقدم مفهوم فن السيرة الذاتية لغة واصطلاحاً. لغةً: الفن هو: "مهارة يحكمها الذوق والمواهب"[٢] والسيرة كما يقول اللغويون، معناها: "السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره"[٣]

وفي محاولة فهم مصطلح السيرة الذاتية نرى الدكتور شعبان مرسي يقول:

أن "السيرة دراسة لحياة شخص ما، وتطورها منذ مولده إلى مماته، والمعنى اللغوي عند العرب يدل على الطريقة والهيئة، والدلالة الاصطلاحية ذات صلة وطيدة بالمعنى اللغوي، إذ تحتوي السيرة على وصف جسمي ونفسي للشخص وعلى أقواله، أو أقوال غيره عنه، وتشتمل أيضاً على منهجه في الحياة وعلاقاته مع الناس، وصراعه من أجل البقاء والمجد."[٤]

ووجدت قول الدكتور جابر قميحة إذ قال:

"والعلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي: فحياة الشخص هي طريقته وهيئته قولا وفعلا في حياته من ميلاده إلى مماته، وربما كان أقدم استعمال لكلمة السيرة على يد "محمد بن اسحق" في كتابه عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم."[٥]

وفي كثير من الأحيان رأيت أن الباحثين يعرّفون السيرة بأنها ترجمة الحياة، ومثال ذلك ما ذكر كامل المهندس ومجدي وهبة في معجمهما، فيقولان:

"السيرة تاريخ الحياة، ترجمة الحياة"[٦]

---

[٢] "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م، ص٧٣٣

[٣] المصدر السابق، ص٤٩٧

[٤] "الفنون الأدبية في العصر العباسي" للدكتور شعبان مرسي، نشره المؤلف نفسه، ط٢، ١٩٩٥م، ص٤

[٥] "مع التراجم الأدبية في العصر الحديث" للدكتور جابر قميحة، الجزء الأول، نشره المؤلف نفسه، ١٩٨٣م، ص٥

[٦] "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" لكامل المهندس ومجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٩

ويرى الأستاذ سيد قطب أن "التراجم الشخصية فن حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التاريخ، ودخل عالم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الأديب في موضوعه، والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره، والتراجم على هذا الوضع تشتمل على العنصرين الأساسيين للعمل الأدبي: التجربة الشعورية والعبارة الموحية عن هذه التجربة، فإذا خلت الترجمة من هذين العنصرين، أو من أحدهما، استحالت سيرة أو تاريخاً بعيداً عن عالم الأدب، فمجرد سرد الحوادث والوقائع -مهما بلغ من الدقة والتفصيل والتحقيق- ليس هو الترجمة."[٧]

الفرق بين كلمتي "السيرة" و "الترجمة":

قد اتضح لي الفرق بينهما بعد قراءة كتاب الدكتور يحيى ابراهيم عبد الدايم الذي يقول:

"أما كلمة "الترجمة" فهي كلمة دخلت إلى العربية عن اللغة الآرامية، و لم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها، فيما يبدو إلا في أوائل القرن السابع الهجري، حين استخدمها "ياقوت" (أبو عبد الله ياقوت الحموي) في معجمه (معجم الأدباء) بمعنى "حياة الشخص"... وعلى مر العصور نرى كلمة "ترجمة" يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على تاريخ الحياة الموجز للفرد وكلمة "سيرة" يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة، وإذا كان السابقون -على ما نرى- يفرقون في الاستعمال بين اللفظتين؛ فإن الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما كثيرا، بل يستخدم إحداهما مرادفة للأخرى، ومن ثم جاء الاصطلاح المعاصر الترجمة أو السيرة الذاتية."[٨]

وأخيراً أستطيع أن أقترح تعريفا للسيرة الذاتية يعتمد على التعريفات التي ذكرت قبل قليل: وهو أن السيرة الذاتية تعني أن يكتب المرء عن حياته بنفسه، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، ويسجل الحوادث المهمة في حياته بأسلوبه الخاص.

أنواع السيرة:

ثمة نوعان للسيرة هما:

---

[٧] "النقد الأدبي: أصوله ومناهجه" لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م، ص١٠٢

[٨] الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحيى ابراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ١٩٧٤م، ص٣١

أ) السيرة الذاتية :

وهي التي يكتب فيها الأديب عن نفسه، مثل : "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار

ب) السيرة الغيرية :

وهي التي يكتب فيها الأديب عن غيره، مثل "سيرة الحسن البصري" لابن الجوزي.

الفرق بين السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها:

عندما بحثت عن الفرق بين السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها وجدت قول تهاني عبد الفتاح شاكر:

إن "السيرة الذاتية تتداخل مع غيرها من الأنواع وأهم هذه الأنواع هي التاريخ، والسيرة الغيرية، والمذكرات، واليوميات، والرواية، وهذا التداخل يعني وجود أوجه شبه بين السيرة الذاتية وكل نوع من هذه الأنواع، وهذا الشبه لا يمكن أن يصل إلى حد التطابق، أي أنه يوجد بين السيرة الذاتية وهذه الأنواع أوجه اختلاف أيضاً."[٩]

والدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم يوضّح لنا هذه القضية أكثر حيث يقول:

"الترجمة الذاتية الفنية، ليست هي تلك التي يكتبها صاحبها على شكل "مذكرات" يعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي، وليست هي التي تكتب على صورة "ذكريات" يعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته، وليست هي المكتوبة على شكل "يوميات" تبدو فيها الأحداث على نحو متقطع غير ترتيب، وليست في آخر الأمر "اعترافات" يخرج فيها صاحبها على نهج الاعتراف الصحيح، وليست هي الرواية الفنية التي تعتمد في أحداثها ومواقفها على الحياة الخاصة لكاتبها، فكل هذه الأشكال، فيها

---

[٩] "السيرة الذاتية في الأدب العربي: فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا" لتهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٧

ملامح من الترجمة الذاتية، وليست هي؛ لأنها تفتقر إلى كثير من الأسس التي تعتمد عليها الترجمة الذاتية الفنية." [١٠]

والفرق الجوهري بين السيرة الذاتية والتاريخ هو أن عملية كتابة التاريخ مجرد توثيق للحقائق، ودخول عنصر الخيال إليه، يعدّ تشويها للحقائق وتزويراً لها، ولكن السيرة الذاتية عملية إبداعية يمزج فيها المبدع بين الحقيقة والخيال.[١١]

وعند محاولة رصد العلاقة بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية وصلت إلى نتيجة أن معظم الباحثين قد أجمعوا على أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد والشخصية الرئيسية والمبدع، أما السيرة الغيرية فلا يوجد فيها هذا التطابق، هكذا تختلف السيرة الذاتية عن السيرة الغيرية من ناحية تعمق الأحاسيس وبروزها، وتقديم الشخصية من الداخل إلى الخارج أو العكس، ثم يمكن لكاتب السيرة الغيرية أن يكون أكثر موضوعياً من كاتب السيرة الذاتية.

يعتقد الدكتور شوقي ضيف بأن "لكل طائفة منهجها الخاص، فالفلاسفة والعلماء والأدباء وأهل التصوف ورجال السياسة عنوا بالتحدث عن حياتهم، ويمكن أن نصنف السير تبعاً لعمل المترجم له؛ فهناك تراجم فلسفية وهناك تراجم علمية وأدبية، كما هناك تراجم صوفية وتراجم سياسية."[١٢]

أصناف السير الذاتية:

يمكن أن نقسم السير الذاتية وما شابهها، حسب كيانها العام وغايتها، إلى الأصناف التالية:

الصنف الأخباري المحض:

"وهو يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي سواءً أكانت تسجل تجربة أو خبراً أو مشاهدةً، كتلك الحكايات التي يقصها الجاحظ وأبوحيان والصلاح الصفدي والصابي والصولي وغيرهم عن نفوسهم، وعن الأحداث التي صادفتهم... وهمّ كل واحد من هؤلاء أن يعرف الناس أين نشأ،

---

[١٠] "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص٣

[١١] "السيرة الذاتية في الأدب العربي" لنهاني عبد الفتاح شاكر، ص١٨ (بتصرف)

[١٢] "الترجمة الشخصية"، الدكتور شوقي ضيف، دارالمعارف القاهرة، ط٤ ، (ب - ت) ص٧

وكيف تعلّم، وكيف كانت قابليته للعلم، ومن شيوخه، وما هي الكتب التي ألفها، والبلاد التي زارها منتقلاً."[١٣]

صنف يكتب للتفسيروالتعليل والاعتذار والتبرير:

"ومن هذا النوع سيرة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وسيرة ابن خلدون، ومذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، وكل واحد من هؤلاء كانت تكتنفه ظروف مضطربة فيها مجال للأخذ والرد والقيل والقال، فكتبوا سيرهم لينصفوا أنفسهم أمام التاريخ، وليبرروا ما جرى لهم من زاوية ذاتية."[١٤]

وصنف ثالث، يصور الصراع الروحي:

"وهو ملموح في سيرة ابن الهيثم، وفي بعض ما كتبه المحاسبي في "كتاب النصائح" وواضح في "المنقذ من الضلال" للغزالي، وليس هذا الكتاب سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق، لأنه لا يصور إلا جانباً من أزمة روحية."[١٥]

صنف يقص قصة المغامرات في الحياة:

"وما يلاقيه المرء من تجارب، وليس لدينا من هذا الصنف سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق، ولكن من أقرب النماذج إليها، مذكرات أسامة بن منقذ التي سمّاها "كتاب الاعتبار".[١٦]

---

[١٣] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٦م، ص ١١٤-١١٥

[١٤] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص ١١٨

[١٥] المصدر السابق، ص ١٢٦

[١٦] المصدر السابق، ص ١٢٨

تطور فن السيرة الذاتية في الأدب العربي وأهم أعلامه

وإذا تتبعت تطور فن السيرة الذاتية في الأدب العربي في عصوره القديمة والوسطى وجدت قول الدكتور شوقي ضيف:

"لعل أقدم صورة للترجمة الشخصية تلك الكلمات التي كان ينقشها القدماء على شواهد قبورهم، فيعرفون بانفسهم، وقد يذكرون بعض أعمالهم، واشتهر المصريون في عصور الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهراماتهم وفي معابدهم وهياكلهم من تواريخهم وأفعالهم، وكانت تسرى هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم-"[١٧]

وأكد الدكتور شعبان مرسي بأن: "العرب أشد عناية بحياة أسلافهم، يذكرون محاسنهم وأسماءهم وأنسابهم وحروبهم وصلحهم وألفاظهم، وتعابيرهم، شعراً ونثراً، ففي الجاهلية كانت لهم تواريخهم وسيرهم، واصطلحوا على تسميتها "بالأيام"... كانت شخصية المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أول شخصية عني بها الكتاب المسلمون على مر العصور"[١٨]

مرت السيرة بمرحلتين: المرحلة التاريخية والمرحلة الأدبية، حيث ظهرت في الأدب العربي السيرة التاريخية والتي ركزت على الجانب التاريخي، ومنها: **سيرة ابن إسحاق وتحدث فيها عن سيرة** الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكتاب الطبقات لابن سعد، وكتاب المغازي للواقدي، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام، أما السيرة ذات الطابع الأدبي فظهرت مع القرن الخامس الهجري نحو: "الامتاع والمؤانسة" و "أخلاق الوزيرين" لأبي حيان التوحيدي، وترجمة ابن سينا لحياته، و"كتاب الاعتبار" لأسامة بن منقذ.[١٩]

"ونستطيع أن نقرر في غير تعميم، بأن السيرة التاريخية ظلت حتى العصر الحديث أقوى أنواع السير عند المسلمين... ومن يتتبع كتابة السيرة التاريخية، يجد أنها لم تخضع للتطور إلا في أمور شكلية

---

[١٧] "الترجمة الشخصية" للدكتور شوقي ضيف، ص ٧ ، وانظر إلى "فن التراجم والسير الذاتية" لأندرية موروا (ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش) المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٥

[١٨] "الفنون الأدبية في العصر العباسي"، ص ٤- ٥

[١٩] "فن السيرة" مقال من الشبكة الدولية، اسم الكاتب غير مذكور (بتصرف)-www.uae٧.com/.../٢٣٧٣٥d١٣٢٣٩٦١٣٦٧/ فن السير

بسيطة، وإنما كان تفاوتها رهناً بالتفاوت بين كاتب وآخر؛ وهو قبل كل شئ تفاوت في الإحساس بمعنى التاريخ نفسه، فسيرة ابن طولون للبلوي -مثلا- أجلّ فائدة من حيث تصويرالنواحي الاجتماعية بمصر، وسيرة ابن شدّاد أكثر اهتماما بالأحداث الحربية التي خاضها صلاح الدين. "[٢٠]

وفي رأي الدكتور إحسان عباس فن السيرة الذاتية "لا تزال حديثة النشأة، وأبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر... ومن أبين المحاولات ذات الطابع الأدبي في السيرة الحديثة، "حياة الرافعي" للعريان، و"عبقريات العقاد"، وما يلحق بها من سير للمؤلف نفسه، و"جبران" لميخائيل نعيمة؛ و"منصور الأندلس" لعلي أدهم."[٢١]

يقول الدكتورإحسان عباس: "لعل أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث هي "كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق" للشيخ أحمد فارس الشدياق."[٢٢] ويذكر بالتفصيل الكتابين "الأيام" للدكتورطه حسين و"حياتي" للأستاذ أحمد أمين، ثم يلخص بحثه كما يلي:

"ولست أعنى بهذين الكتابين لأنهما كل ما كتب في أدبنا المعاصر من سير ذاتية، وإنما أعرض بهما اتجاهين متفاوتين، فكتاب "حياتي" ذو صلة بالتاريخ والمذكرات، وهويقف في صف مع مذكرات محمد كرد علي ومذكرات الرافعي ومحمد شفيق باشا، ومذكرات الملك عبدالله، ومحمد حسين هيكل، وتربية سلامة موسى وما أشبه، إلا أن العنصر الذاتي فيه أقوى وأوضح.

وكتاب "الأيام" سيرة ذاتية فنية أدبية، إذا تحولت عناصره بعض التحول، أصبح قصة كما فعل توفيق الحكيم في "عودة الروح" والمازني في "إبراهيم الكاتب" والعقاد في قصة "سارة"، ففي هذه الكتب شيء غير قليل من العناصر الذاتية والترجمة الشخصية، غير أنه موضوع في إناء قصصي، ممزوج بقسط غير قليل من الخيال، فهي كتب لاحقة بالقصص لا بالسير الذاتية، وفي هذا الموقف المتوسط بين طرفين يظل كتاب "الأيام" أكمل ترجمة ذاتية أدبية في أدبنا الحديث، مثلما كان كتاب "جبران" لنعيمة أكمل سيرة أدبية."[٢٣]

---

[٢٠] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص٢٧-٣٢-٣٣

[٢١] المصدر السابق، ص٣٧-٥٥

[٢٢] المصدر السابق، ص١٣٠

[٢٣] المصدر السابق، ص١٣٩

وكتب السيرة الذاتية من الكثرة بحيث يصعب حصرها، ولكن أحاول أن أشير إلى بعض ما كتب في السيرة الذاتية فيما يلي:

كتاب (لمحات من حياتي) و(حياة طبيب) للدكتور نجيب الكيلاني، و (شاهد القرن) لمالك بن نبي، و(هذه تجربتي وشهادتي) لسعيد حوّى، و(أنا) لعباس محمود العقاد، و(الأيام) لطه حسين، و(لماذا أعدموني؟) لسيد قطب، (حياتي) لزينب الغزالي، و(تلخيص الإبريز) لرفاعة الطهطاوي، و(حياتي) لأحمد أمين، و(مذكراتي) لعبد الله بن الحسين، و(هو الأيام) لأحمد الجندي، و(الذكريات) للشيخ علي الطنطاوي، وهي في ثمانية أجزاء، و(حديث السنين) للدكتور إبراهيم السامرائي، و(سبعون) لميخائيل نعيمة، و(إبراهيم الكاتب) و(إبراهيم الثاني) لإبراهيم المازني ، و(قصة حياتي) لأحمد لطفي السيد، و(زهرة العمر) و (سجن العمر) لتوفيق الحكيم ، و(مذكراتي) لعبد الرحمن الرافعي، و(الاعترافات) لعبد الرحمن شكري ، و(هذه حياتي) لعبدالعزيز فهمي، و(غربة الراعي) لإحسان عباس، و(ذكريات عمر أكلته الحروف) لنجيب المانع، و(مذكراتي) لمحمد مهدي الجواهري، و(قصة حياتي) لعبد الرحمن بدوي.[٢٤]

[٢٤] "أفضل كتب السيرة الذاتية"، لنعيم الزايدي، (مقال من الشبكة الدولية ٠٩-١١-٢٠٠٩م، ٠١:٢٣ صباحاً http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=

المبحث الثاني

نبذة عن حياة الشيخ يوسف القرضاوي

ولادته وأسرته:

في صباح التاسع من سبتمبر عام ١٩٢٦م [٢٥]أهل مولود سعيد في بيت عبدالله بن علي من أسرة "القرضاوية" *في قرية صفط تراب، مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر، ما كان لأحد من أسرته أن يتكهن بأن هذا الوليد سوف يكون أشهر من ينسب إلى "القرضاوية"، وهو الوليد الذي قدر له أن يبهر الناس بعد حين، وأن يلفت إليه تاريخنا فيسجل خطواته و أنفاسه.

اسمه ولقبه:

هو يوسف بن عبد الله بن علي بن يوسف، كان نابهاً ذكياً، حفظ القرآن الكريم في صغر سنه، يذكر في سيرته الذاتية :

"كان عمري في ذلك الحين ٩ سنوات وبضعة أشهر, وكنت أصغر طالب حفظ القرآن الكريم في القرية... ومن ذلك اليوم شيخني الناس، وسموني (الشيخ يوسف) حافظ كتاب الله."[٢٦]

واستحق رسميا لقب "الشيخ" بعد حصول الشهادة العالمية التي تختم بها الكلية.

---

[٢٥]"القرضاوي فقيهاً" لعصام تليمة، دار التوزيع والنشرالإسلامية، ص١١

[٢٦]"ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، دارالشروق القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص١٢٦

* "كانت أسرة "القرضاوية" أسرة صغيرة في عددها، تنتمي إلى الحاج علي القرضاوي، وهو جدّ الدكتور يوسف، يقال إن أصول هذه الأسرة من بلدة تسمى "القرضة"، بفتح الراء لا بالسكون، عائلة "القرضاوي" منتشرة في قرى شتى من مصر، وأشهر فروع القرضاوية في قرية "سنهور المدينة" مركز دسوق، ويعدّ آل القرضاوي فيها من أعيان البلدة، وفيهم العمد وأعضاء بمجلس النواب، وموظفون الكبار، وأناس ذوو شأن." ("ابن القرية والكتاب" الجزء الأول، ص٩٩)

نشأته ومؤهلاته:

حرم من أبيه وكان في الثانية من عمره، وبعد موت أبيه كفله عمه أحمد، فقد أنبت الله سبحانه وتعالى هذا الدر اليتيم نباتاً حسناً، أتقن القرضاوي أحكام تجويد القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، وكان الناس في قريته يقدمونه للصلاة إماماً وبخاصة في صلاة الفجر، وقل من كان لا يبكي خلفه في الصلاة، التحق بالأزهر الشريف حتى تخرج من الثانوية، وكان ترتيبه الثاني على دولة مصر حين كانت خاضعة للحكم الملكي، ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية سنة١٩٥٣ م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه، وعددهم مائة وثمانون طالبًا. ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة١٩٥٤م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة.

بعد تخرجـــــه حصل يوسف القرضاوي على دبلوم من معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب في سنة ١٩٥٨م، لاحقا في سنة١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وفي سنة ١٩٧٣م حصل على الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وكان موضوع الرسالة هو "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية."[٢٧]

قد تأثر القرضاوي في السنة الأولى من المعهد الديني في طنطا بشخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبري الحركات الإسلامية الحديثة "الإخوان المسلمين"، وفي السنة الرابعة من نفس المعهد أصبح عضواً رسمياً في الإخوان.[٢٨] وقد أدي انتماؤه إلى دعوةالإخوان المسلمين وجهاده في سبيل الإسلام إلى إعتقاله عدة مرات.

أعماله الرسمية:

"عمل الدكتور القرضاوي فترة بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر.

---

[٢٧] يوسف القرضاوي من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة عالم دين مصري وقطري، ١٩٢٦م- إلى يومنا هذا (الشبكة الدولية)

[٢٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، ج١، ص١٦٤

ونقل بعد ذلك إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد.

وفي سنة١٩٦١ م أعير إلى دولة قطر، عميدا لمعهدها الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد،

التي جمعت بين القديم النافع والحديث الصالح.

وفي سنة ١٩٧٣ م أنشئت كليتا التربية للبنين والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة١٩٧٧ م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي١٩٨٩-١٩٩٠ م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، ولا يزال قائما بإدارته إلى اليوم.

وقد أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر الشقيقة العام الدراسي١٩٩٠-١٩٩١ م ليترأس المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية العليا، ثم عاد إلى عمله في قطر مديراً لمركز بحوث السنة والسيرة."[٢٩]

جهود فضيلة الشيخ القرضاوي في سبيل الإسلام والمسلمين:

يعتبر الشيخ يوسف القرضاوي أحد أعلام الإسلام البارزين في عصرنا الحاضر في العلم والفكر والفقه والدعوة والتربية والجهاد، وفي العالم الإسلامي شرقاً و غرباً، ولا تقتصر جهوده في خدمة الإسلام على جانب واحد أو مجال معين بل تعددت جوانبه، وتنوعت مجالاته، فهوالمؤلف والخطيب والداعية والمربي والفقيه والأديب والشاعر والاقتصادي والاجتماعي والمصلح و المجدد، ومن أهم هذه المجالات التي كان له فيها باع طويل:

(١) مجال التأليف العلمي (٢) مجال الدعوة والتوجيه (٣) مجال الفقه والفتوى

(٤) مجال المؤتمرات والندوات (٥) مجال الزيارات والمحاضرات

(٦) مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات (٧) مجال الاقتصادالإسلامي

---

[٢٩]"القرضاوي فقيهاً" لعصام تليمة، دارالتوزيع والنشرالإسلامية، ط١٤٢١،١هـ-٢٠٠٠م، ص١٢

(٨) مجال العمل الاجتماعي

(٩) مجال ترشيد الصحوة

(١٠)مجال العمل الحركي والجهادي

عضويته في مجامع علمية:

"هو عضو في عدة مجامع ومؤسسات علمية ودعوية وعربية وإسلامية وعالمية، منها: المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامية بمكة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد، ومجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، ورئيس لهيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية، وهو رئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين هذه الأيام.

زياراته:

زار عدداً كبيراً من الأقطار الإسلامية في أسيا وأفريقيا، والتجمعات والأقليّات الإسلامية في سائر القارات، ودُعي إلى المحاضرات في عدد من الجامعات الإسلامية والعالمية، كما شارك في عدد جم من المؤتمرات والندوات العلمية داخل العالم الإسلامي وخارجه."[٣٠]

جوائز حصل عليها:

للشيخ القرضاوي منزلة كبيرة بين علماء المسلمين ودعاتهم ومفكريهم، وقد تجلى ذلك في الجوائز المتعددة التي حصل عليها الشيخ من عدة جهات عربية وإسلامية قدرت جهوده في خدمة العلم والدين والأمة، ومنها:

- جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠م.
- جائزة الملك فيصل العالمية (بالاشتراك) في الدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٣م الموافق ١٤١٣هـ.
- جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام١٩٩٦ م،

[٣٠] السيرة التفصيلية للقرضاوي، قرضاوي. نيت (الشبكة الدولة) اخر تحديث:١٧:٠٩ (مكة) الأربعاء ١٢ شوال ١٤٢٥هـ - ٢٤/١١/٢٠٠٤م

- جائزة السلطان حسن البلقية سلطان بروناي في الفقه الإسلامي لعام١٩٩٧م .
- جائزة العويس للعطاء العلمي والثقافي لعام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م.
- جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم باختياره (الشخصية الإسلامية) لعام ١٤٢١هـ الموافق٢٠٠٠م
- جائزة بروناي تكريما لمبدأ الوسطية الإسلامية (خمسين ألف دولار) أغسطس ٢٠٠١م
- جائزة الدولة التقديرية للدراسات الإسلامية من دولة قطر لعام ٢٠٠٨م،
- جائزة الهجرة النبوية للعام ١٤٣١هـ، وذلك تقديرا لعلمه وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين، سلّمها لفضيلته ملك ماليزيا في الاحتفال الكبير بالعام الهجري الجديد صباح الجمعة ١ محرم ١٤٣١هـ الموافق ١٨ ديسمبر ٢٠٠٩م.[٣١]

مؤلفات الشيخ القرضاوي:

ألف فضيلة الشيخ القرضاوي مجموعة كبيرة من الكتب تزيد على مائة وعشرين كتاباً خلال فترة حياته الزاخرة بالإنتاج العلمي والدعوي، وقد حفلت كتبه باهتمام عالمي، وترجمت إلى العديد من اللغات تربو على عشرين لغة، وفيما يلي قائمة بمؤلفات الشيخ مصنفة حسب المواضيع:

في الفقه وأصوله

١- الحلال والحرام في الإسلام.
٢- مائة سؤال عن الحج والعمرة والأضحية.
٣- فتاوى معاصرة (٣ أجزاء).

تيسير الفقه للمسلم المعاصر:

١- نحو فقه ميسر معاصر.
٢ فقه الطهارة .
٣- فقه الصيام.
٤- فقه الغناء والموسيقى.
٥- فقه اللهو والترويح.
٦- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.
٧- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

[٣١] قرضاوي.نيت (الشبكة الدولية)

٨- من فقه الدولة في الإسلام.

٩- الفتوى بين الانضباط والتسيب.

١٠- عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.

١١- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد.

١٢- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.

١٣- في فقه الأقليات.

١٤- دية المرأة في الشريعة الإسلامية.

في الاقتصاد الإسلامي:

١- فقه الزكاة (جزءان).

٢- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

٣- بيع المرابحة للآمر بالشراء.

٤- فوائد البنوك هي الربا الحرام.

٥- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.

٦- دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية.

في علوم القرآن والسنة:

١- الصبر في القرآن.

٢- العقل والعلم في القرآن الكريم.

٣- كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟.

٤- كيف نتعامل مع السنة النبوية؟.

٥- تفسير سورة الرعد.

٦- المدخل لدراسة السنة النبوية.

٧- المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان).

٨- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة.

٩- نحو موسوعة للحديث الصحيح (مشروع منهج مقترح).

عقائد الإسلام:

١- وجود الله.

٢- حقيقة التوحيد.

٣- الإيمان بالقدر.

٤- الشفاعة.

في فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة:

١- الحياة الربانية والعلم.

٢- النية والإخلاص.

٣- التوكل.

٤- التوبة إلى الله.

في الدعوة والتربية:

١- ثقافة الداعية.

٢- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا.

٣- الإخوان المسلمون ٧٠ عاما في الدعوة التربية والجهاد.

٤- الرسول والعلم.

٥- الوقت في حياة المسلم.

٦- رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد.

في ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية:

١- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي.

٢- أين الخلل؟

٣- أوليات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة.

٤- في فقه الأوليات -- دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة.

٥- الإسلام والعلمانية وجها لوجه.

٦- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.

٧- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.

٨- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

٩- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

١٠- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.

١١- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم.

١٢- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد.

١٣- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام.

١٤- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا.

١٥- أمتنا بين قرنين.

١٦- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق.

١٧- تاريخنا المفترى عليه.

كتب سياسية:

١. الإسلام والعنف.

٢. نحن والغرب: أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة.

٣. الدين والسياسة.

٤. الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم.

٥. درس النكبة الثانية.

٦. لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر.

٧. قضايا معاصرة على بساط البحث.

سلسة: حتمية الحل الإسلامي:

١. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.

٢. الحل الإسلامي فريضة وضرورة.

٣. بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين.

٤. أعداء الحل الإسلامي.

نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام:

١. شمول الإسلام.

٢. المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.

٣. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى.

٤. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.

٥. كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف.

٦. فصول في العقيدة بين السلف والخلف.

إسلاميات عامة:

١. الإيمان والحياة.

٢. العبادة في الإسلام.

٣. الخصائص العامة للإسلام.

٤. مدخل لمعرفة الإسلام.

٥. الإسلام حضارة الغد.

٦. الناس والحق.

٧. **جيل النصر المنشود.**

٨. خطب الشيخ القرضاوي (سبعة أجزاء).

٩. ابتهالات ودعوت.

١٠. قطوف دانية من الكتاب والسنة.

١١. أصول العمل الخيري في الإسلام.

١٢. الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام.

١٣. كلمات في الوسطية ومعالمها.

شخصيات إسلامية:

١. الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه.

٢. الشيخ الغزالي كما عرفته: رحلة نصف قرن.

٣. الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته.

٤. الجويني.. إمام الحرمين.. بين المؤرخين: الذهبي ..السبكي.

٥. في وداع الإعلام.

٦. عمر بن عبد العزيز الراشد المجدد.

٧. نساء مؤمنات.

٨. مقومات الفكر الإسلامي عند الإمام البشير الإبراهيمي.

في الأدب والشعر:

١. نفحات ولفحات – (ديوان شعر).

٢. المسلمون قادمون — (ديوان شعر).

٣. عالم وطاغية — (مسرحية تاريخية).

٤. يوسف الصديق — (مسرحية شعرية).

٥. ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة.(٤ أجزاء).

رسائل ترشيد الصحوة:

١. الدين في عصر العلم.

٢. الإسلام والفن.

٣. النقاب للمرأة بين القول ببدعته والقول بوجوبه.

٤. مركز المرأة في الحياة الإسلامية.

٥. فتاوى للمرأة المسلمة.

٦. جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة.

٧. الأقليات الدينية والحل الإسلامي.

٨. المبشرات بانتصار الإسلام.

٩. مستقبل الأصولية الإسلامية.

١٠. القدس قضية كل مسلم.

١١. حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا.

١٢. فتاوى من أجل فلسطين.

١٣. مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

١٤. الأسرة كما يريدها الإسلام.

١٥. ظاهرة الغلو في التكفير.

١٦. التربية السياسية عند حسن البنا.

١٧. البابا والإسلام. [٣٢]

---

[٣٢] قرضاوي.نيت (الشبكة الدولية)

نشاطه في الأدب:

"إن الدكتور يوسف القرضاوي عالم موسوعي الثقافة، جم المعرفة، غزيرالفقه والفكر والأدب، فقيه مجتهد، ومفكر متعمق، وباحث مدقق، وهوخطيب مصقع مفوّه، واذا كانت هذه الجوانب الشرعية غير مجهولة في شخصية القرضاوي فإن الجانب الذي لا تعرفه طائفة من الناس: أن الرجل- زيادة على هذاكله- شاعر وأديب، وهو بذلك يجمع في تكوينه الفكري بين الثقافتين الشرعية الدينية، واللغوية الأدبية، وهما- عند أهل النظر والتحقيق- وجهان لعملة واحدة."[٣٣]

يعد الدكتور القرضاوي صاحب مدرسة فكرية وتربوية وفقهية، فعلى المستوى الفكري فإن الدكتور القرضاوي يمثل مدرسة الاعتدال التي جاء به الإسلام، كما يعد الشيخ القرضاوي أحد شعراء الدعوة الإسلامية، فشعره يمتاز بالفصاحة البالغة، ويحمل بين أبياته المعاني والصور المعبرة عن شجون الإنسان المسلم، ولعل أبرز المعجبين بالقرضاوي شاعراً شهيد الإسلام الشيخ حسن البنا الذي قال في شأن القرضاوي: "إنه لشاعر فحل."[٣٤]

"نشأ القرضاوي منذ صغره مفطوراً على الفصاحة، وشب على حب العربية وآدابها، وعرف بين الناس بقدرة فائقة في علومها، وإنشاء الشعر في عهد مبكر، فقد اشتهر به منذ كان طالباً بالمعاهد الأزهرية."[٣٥]

آراء الآخرين عن الدكتور القرضاوي:

نال الدكتور يوسف القرضاوي ثقة كثير من العلماء واحترامهم ومحبة وعقيدة الأمة الإسلامية للمنهج الوسطى المتميز الذي يسلكه في حياته، ولنفاذ بصيرته ولبراعته في مجال التأليف العلمي، ولجهوده الشاقة في سبيل الإسلام والمسلمين. نجد القاباً متعددة في شأنه، نحو "القرضاوي حجة

---

[٣٣]"الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية ١٤٢١هـ الموافق٢٠٠٠م"، ص ١٢٣

[٣٤]"القرضاوي فقيها" لعصام تليمة، ص٢٨

[٣٥]"نفحات ولفحات ،شعر د.يوسف القرضاوي" لحسني أدهم جرار، دارالتوزيع والنشرالإسلامية القاهرة، ط١-١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. ص٢١

العصر، وعالم مجاهد، وضمير الأمة، وفقيه المقاصد، وقمة في العطاء، وفقيه التيسير، وفقيه الداعية، وفقيه الوسطية، والمجدد الموفق، وخلاصة القول هومن نعم الله على المسلمين."[٣٦]

ولكن كما ذكرت قبل قليل لا يعرف أكثر الناس بأن الدكتور القرضاوي أديب موهوب و شاعر فحل فلذلك لم أجد آراء كثيرة في خدماته في المجال الأدبي بشكل خاص.

لقد بلغ القرضاوي اليوم من العمر خمسة وثمانون عاماً حفظه الله تعالى.

[٣٦]"القرضاوي فقيها" لعصام تليمة، ص٢٨-٢٩

يخطب الشيخ يوسف القرضاوي خطبة الجمعة التاريخية في ميدان التحرير بمصر ١٨ فبراير ٢٠١١م. أدى أكثر من مليوني مصري صلاة الجمعة خلف رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ يوسف القرضاوي احتفالا بانتصار ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

الفصل الأول

دراسة موضوعية لطفولة الدكتور يوسف القرضاوي وصباه من خلال سيرته الذاتية

الفصل الأول

دراسة موضوعية لطفولة الدكتور يوسف القرضاوي وصباه

التمهيد:

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأولى من حياة الإنسان، وهي من أهم المراحل التي يمرّ بها الإنسان في مسيرة حياته، لأنها تعتبر حجر الأساس في بناء وتكوين الشخصية، لقد أكد المربون على أهمية مرحلة الطفولة بأنها صانعة المستقبل، و"الطفولة المبكرة تمتد من الثانية وحتى السابعة من العمر، ويكتسب الطفل عقيدته وأسس السلوك الإجتماعي من والديه والبيت، وتبقى ثابتة مدى العمر، تنادى التربية الحديثة بأهمية الخبرات الأولى للأطفال، وآثارها في تباين ميولهم واتجاهاتهم وأنماط سلوكهم المختلفة، وترسم الملامح الرئيسية لشخصية الطفل المقبلة في هذه المرحلة، ويصبح من الصعوبة إزاحة بعضها مستقبلاً."[٣٧]

وقد صور ابن المعتز الطفولة في الأبيات التالية:

وإن من أدبته في الصبا كـــــــــ العود يسقي الماء في غرسه

حتى تراه مورقاً ناضرا من بعد ما أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنا عاد إلى نكسه[٣٨]

---

[٣٧]"أهمية مرحلة الطفولة" ، عبد الرحمن البابطين، الشبكة الدولية

[٣٨]"ملتقى أهل اللغة لعلوم اللغة العربية (الشبكة الدولية)

الطفولة، ذلك الحقل الخصب الذي نهتم به ونرعاه لنحصل على الزرع الجيد، ولا أغالي إذا قلت إن كل شيء يبتدئ من هذه المرحلة التي تعد الصياغة الأساسية التي تشكل شخصية الطفل، انطلاقاً من هذه الدكتور يوسف القرضاوي وصباه حتى يتبين لنا كيف نشأ هذا الرجل العبقري، وما هي الروافد التي عزته.

قرية صفط تراب:[٣٩*]

ينتمي الدكتور يوسف القرضاوي إلى قرية عريقة قديمة من قرى الريف المصري، تسمى "صفط تراب"، تقع على بعد واحد وعشرين كيلو مترا من مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية، وعلى بعد تسعة كيلومترات من المحلة الكبرى أشهر مراكز محافظة الغربية، وكانت بعيدة -في ذلك الوقت- عن كل أسباب المدنية الحديثة نحو الماء والكهرباء والشوارع والمكتبات والمتاحف وما إلى ذلك.

[٣٩*] قرية صفط تراب إحدى قرى المحلة الكبرى، محافظة الغربية، النشاط الرئيسي بالقرية هو الزراعة. ومن أعلامها الدكتور يوسف القرضاوي (ويكيبيديا الموسوعة الحرة الشبكة الدولية)

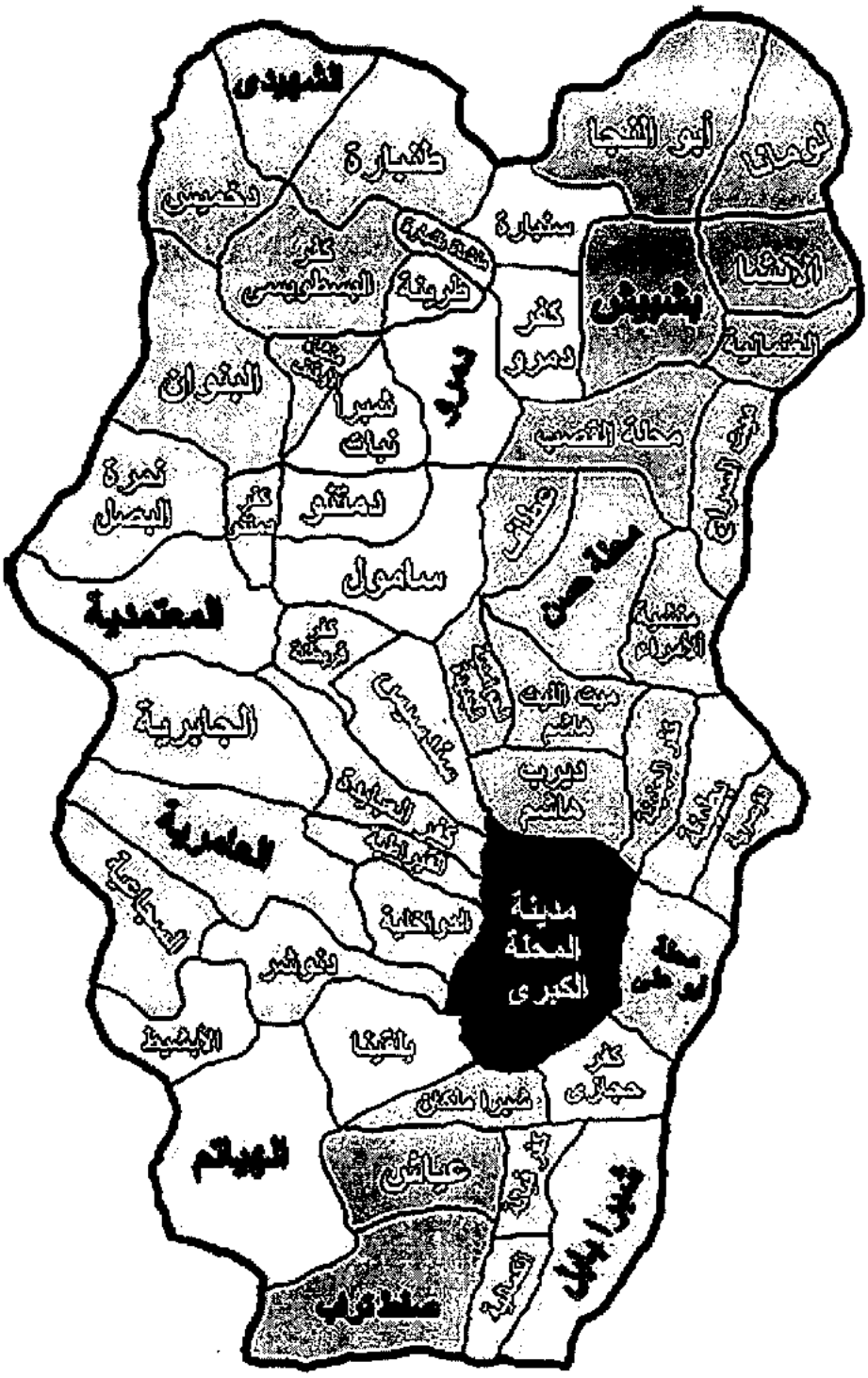

خريطة قرية الدكتور يوسف القرضاوي "صفط تراب"

تبرك قريته بنزول الصحابي*[٤٠] فيها وأثر ذلك على شخصية القرضاوي:

كان من حسن حظ قرية الدكتور يوسف القرضاوي أن استوطنها واستقر بها الصحابي ابوالحارث عبدالله بن الحارث بن جزء بن عبدالله بن معديكرب الزبيدي (رضي الله عنه)، الذي روى عن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) عدة أحاديث، كان من الصحابة الذين فتحوا أرض مصر مع قائدهم سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، فاتح مصر في العصر الذهبي عصر أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد انتهاء الفتح رجع من رجع من الصحابة الفاتحين إلى جزيرة العرب وبقي آخرون وتفرقوا في مدنها وقراها، وكان لهم تلاميذهم في مصر، وقد اختار سيدنا عبدالله بن الحارث الزبيدي هذه القرية المتواضعة، وتزوج منها وأنجب فيها، وبقي فيها حتى وافاه أجله، ومات ودفن بها سنة٨٦هـ، وقبره معروف بها.

يفتخر القرضاوي بنزول هذا الصحابي في قريته في بداية سيرته الذاتية، وهذاالإحساس بالفخر يدل على علاقته القوية بالدين منذ البداية، لأن الصحابة رمز من الرموز الدينية. وإذا افتخر الآخرون بسبب وجاهة الدنيا يتحمّس ويفتخر الدكتور بدوافع دينية، ارتسمت ملامح هذه السعادة على شخصيته، وفرح فرحاً شديداً حتى أنشد قصيدة رائعة في شأن هذا الصحابي الجليل جاء فيها:-

---

[٤٠]* هو أبو الحارث ، عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن عسم"بمهملتين و قيل عصم بالصاد بدل السين" بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زبيد الزبيدي المذحجي اليماني، و شهد عبد الله بن الحارث فتح مصر و اختط بها و سكنها و روى عنه أهلها ، و نقل السيوطي بدر السحابة عن ابن الربيع ، قال : لأهل مصر عنه عشرون حديثا، وكان عبد الله بن الحارث شيخ المصريين في زمنه و عالمهم . و عمّر بمصر عُمرا طويلا إلى أن عمي بآخر حياته و مات بها بقرية صفط القدور أو قرنفيل "صفط تراب حاليا" التابعة للمحلة الكبرى بمحافظة الغربية. و كان آخر من مات بمصر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . و يُختلف في سنة وفاته ، والأصح أنه مات سنة٨٦هـ كما قال الذهبي بالسير و يوجد حتى الآن ضريح منسوب اليه بنفس القرية التي مات فيها ، و يقول أهل تلك القرية أنه مدفون عندهم بالقرية عند الضريح المذكور ، و يسمونه ضريح سيدي عبد الله بن الحارث صاحب رسول الله . ("منتديات نفوسة ليبيا" الشبكة الدولية)

بعبدالله أشرقت الرّوابي ..

وبوركت السهول مع الهضاب

بسيف الحب والعدل انتصرتم

وليس ببطش ذي ظفرو ناب

وأسلم أهل صفط على يديكم

ودانوكم بصهر واقتراب

وحق لصفطنا بك أن تسمّى

بصفط التّبر لا صفط التراب[٤١]

[٤١] "ابن القرية والكتاب" الدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول ص ١٨ ١٩

جوانب الحياة المختلفة في قرية صفط تراب:

حاول الدكتور يوسف القرضاوي أن يعطي قارئ كتابه "ابن القرية والكتاب" صورة بينة الملامح، واضحة التقاسيم عن قريته في جوانبها المختلفة، سأحاول أن ألخص ما كتب الدكتور القرضاوي عن قريته فيما يلي:

الجانب الديني في القرية:

كان الدين في قريته -كما كان في قرى مصر بصفة عامة- هو المؤثر الأول في حياة الناس، وكان الموجّه الأول لتفكير الناس، والمصدر الأول لتثقيفهم، والمؤثرالأول في سلوكياتهم، ولا أغالي إذا قلت كان الدين محور الحياة في القرية، وكان الناس يذكرون اسم الله في جميع شؤون حياتهم من الولادة إلى الموت، أو بعبارة أخرى كانوا يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم عامةً، هكذا نشأ القرضاوي متشرباً بالدين، ويرى القرضاوي أن أهم مؤسسة في القرية كانت المسجد، وأهم شخصية مؤثرة في القرية كانت شخصية عالم الدين، ولعل القرضاوي أعجب منذ طفولته بشخصية عالم الدين، فسلك مسلك العلماء في حياته.

رأي الدكتور في شهر رمضان:

كان في القرية شهر رمضان كل عام موسما للطاعات، ومتجرا للصالحين والصالحات، وفرصة لتلاوة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه وتعالى ، والدعاء والتسبيح والاستغفار في آناء الليل وأطراف النهار، وخصوصاً عند الإفطار، وكان الناس يجددون فيه إيمانهم بصيام نهاره وقيام ليله، والانتفاع بدروسه، ويذكر لنا الدكتور القرضاوي أن بين المغرب والعشاء، وبعد الإفطار السريع، كان أحد المشايخ يلقى درسا في المسجد، ومعظمه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، والعجيب أنه لا يجدد الموضوعات بل يكرر هذه الدروس في رمضان كل سنة.

وظل مسجد المتولي على هذه الوتيرة حتى منّ الله على الناس بظهور عالم بمعنى الكلمة، خريج كلية الشريعة بالأزهر، الشيخ عبد المطلب البتة، الذي بدأ بخطب الجمعة، فقلبها رأساً على عقب، كان لا يقرأ الخطبة من ورقة كالخطباء من قبله، بل كان يحضرها تحضيراً جيداً، مزيناً إياها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فشد انتباه الناس إليه فانتفعوا به، وكان الشيخ عبد المطلب البتة حريصاً على أداء رسالة الإسلام، فقد ابتكر في رمضان درس العصر، يفسر فيه آيات من القرآن الكريم، أو يشرح بعض الأحاديث النبوية بأسلوبه الرائع الذي يجذب انتباه الناس.

قد ذكر عبد الحميد جودة السحار في سيرته الذاتية كيفية الناس في حارته في شهر رمضان، ولكن ركز على جانب آخر وهو انهماك الناس في مشاغل الأكل والأناشيد والفوانيس في الليل في حارات الحي لاستقبال العيد، وخاصة اهتمام الأسرة للأموات، حيث يقول:

"أصوات العجين تتجاوب في دور الأسر المتقاربة في الحارة، فقد كنا في الأيام الأخيرة من شهر رمضان، وانتشرت في أفنية الدور المواجير وألواح العجين وصاجات الكعك، فقد كنا نستقبل العيد بأقراص الفطير والكعك والغريبة ... وارتفعت أصوات الأولاد في الحارة ينشدون... وقد كان عندي فانوس به شمعة كاملة لم تستعمل بعد ... وجاء آخر أيام الشهر المبارك فوقفت العربة الكارو أمام بيتنا لتنقل الفرش إلى القرافة، فالأسرة كلها تمضي ليلة العيد مع الأموات وفاء منها للأعزة الذين خرجوا من الحياة."[٤٢]

[٤٢] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر الفجالة (ب-ت) ص٢٣-٢٤

موقف أهل القرية من الزكاة:

لم يكن للزكاة أثر ملموس في حياة الناس رغم تدينهم، كما شهد القرضاوي ذلك في صباه، والزكاة ركن ركين من أركان الإسلام، الذي قرنه القرآن مع الصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً، فقد لاحظ القرضاوي أن الفلاحين المحدودي الدخل هم الذين كانوا يحرصون على أداء الزكاة، وليس كبار المزارعين، ويعلل القرضاوي عدم ظهور الزكاة بوضوح بعدة علل، نحو عدم امتلاك النصاب، وإيتاء الزكاة للأقارب والجيران دون إعلان، وغلبة الشح وحب المال، وعدم مطالبة الدولة أو هيئات شعبية بالزكاة.

ربما تأثر القرضاوي باختفاء هذه الشعيرة الإسلامية في قريته تأثراً كبيراً إلى حد أنه اختار الزكاة موضوعاً لرسالته في مرحلة الدكتوراة وكانت بعنوان "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية".

شيوخ القرية وتأثيرهم في الناس:

ذكر القرضاوي بعض شيوخ القرية في سيرته الذاتية، ونرى ذكر الشيخ عبدالمطلب في الكتاب موضوع البحث أكثر تفصيلاً مقارنة بالآخرين، ربما لأن القرضاوي كان يعتقد بأن الشيخ كان مثالاً حياً للعالم القوي في علمه وفي روحه وكانت له تجديدات في دروسه لا يجدها الناس في غيره، وكان يخطب في مسجد المتولي (الأقرب إلى بيت القرضاوي)، فكان حظ القرضاوي في الاستماع إلى خطب الشيخ أكثر من الآخرين، وقد عالج في خطبه أمراض المجتمع من الغش والكذب والخيانة وعقوق الوالدين وقطع الأرحام وغيرها، وحارب البدع المنتشرة في المجتمع، وشد الناس إليه، فلم ينقطع عن دروسه في رمضان حتى بعد تعيينه مدرساً بمعهد شبين الكوم الديني، لأنه كان يعود إلى الخطابة بمسجد المتولي في الإجازات الصيفية، وشهر رمضان–حينما يتذكر القرضاوي–

كان يأتي في الصيف، ويصرح القرضاوي بعظمة الشيخ عبدالمطلب البتة عنده وعند الناس حين يقول:

"وأشهد أني انتفعت بالشيخ البتة، ولزمت دروسه بعد العصر في مسجد المتولي، حتى كدت أحفظها، بل كنت ألزمه في صلاة التراويح، حيث كان يصليها في مسجد صغير يسمى مسجد سيدي عبد الغني." [٤٣]

عندما نقرأ ذكر شيوخ القرية يظهر لنا أمران، أولهما أن القرضاوي كان حريصاً على طلب العلم كل الحرص وكان واسع المشرب في مجال العلم؛ ثانياً أنه كان حكيماً، فقد تعلم من أخطاء الآخرين. مرة عنف أحد الخطباء الأزهريين أهل القرية في خطبته مما جعل أهل المسجد يردون عليه ويشتمونه، وهو فوق المنبر، فعلّق القرضاوي: " ولهذا ينبغي أن يكون الخطيب عفّ اللسان، حكيماً في تعبيره، بحيث لا يجرح مشاعرالناس، ولا يهوّن من شأنهم."[٤٤]

موقفه من الطرق الصوفية:

لم يكن في قرية الدكتور نفوذ كبير وأتباع كثيرون للطرق الصوفية الشهيرة، فبعض العمال في مصانع شركة الغزل بالمحلة الكبرى كانوا يتبعون "الطريقة الشاذلية"، وكان هناك أتباع للطريقة "البيومية"، وكانوا مشهورين بالذكر الجماعي، وكانوا يتراقصون أثناء ذكرهم بطريقة رياضية قوية، تحتاج إلى جسم مرن قادر على هذه الحركات، ومن الطرق الصوفية الشهيرة في مصر آن ذاك والتي كان لها أتباع، "الطريقة الخليلية" التي أسسها رجل أمّي هو الشيخ إبراهيم أبوخليل في الشرقية، ينسب الناس إليه من الكرامات والخوارق الشيء الكثير، وقد نشأت في قريته طريقة

[٤٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٦

[٤٤] المصدرالسابق، ص ٢٧

مستقلة انبثقت من الطريقة الخليلية، وهي "طريقة الشيخ محمد أبو شادي" التي كان قوامها الذكر والدعاء والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قراءة فصل من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي*[٤٥]، فجمعت بين العلم والعمل، وعرف القرضاوي هذه الطريقة، ولكن لم يستمر فيها، إذ كان مزاجه منذ الصبا مع منهج الوسط. فطره الله على طبيعة فيها كراهية الغلو والمبالغات، وحب التوسط والاعتدال، ولكن القرضاوي استفاد من هذه الطريقة كثيراً، مما كان له تأثير في حياته، وهو التعرف المبكر على حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي عن طريق كتابه "الأحياء". ولاحظ القرضاوي أن في الكتاب أحاديث كثيرة يرفضها العقل، ثم عرف أن "إحياء علوم الدين تحتوي معه كتابا آخر للحافظ العراقي، سمّاه "المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأحاديث والأخبار" وهو يعلق على كل حديث يرويه "الإحياء"، ويذكر من رواه، ويبين أنه حديث صحيح أو حسن أو ضعيف أو ضعيف جداً، أو لا أصل له أو موضوع. فوجد هذا الكتاب نافعا لكل من قرأ "الإحياء" بل ضروري له، هكذا اعترض القرضاوي على بعض النقاط في الكتاب التي تميل إلى جانب الغلو والمبالغات، ولكن مع هذا فهو يحترم الإمام الغزالي احتراماً كبيراً حيث يقول:

"وهذان المأخذان على "الإحياء" لم يسقطا اعتباره، ولا اعتبار الإمام الغزالي عندي. وهذا ما أحمد الله تعالى عليه: العدل والاعتدال مع الناس، وخصوصا مع العلماء، فلا أغلو في حب بعضهم إلى درجة التقديس، ولا أتطاول على كبرائهم، لمجرد أنه أخطأ، فكل بني آدم خطاء.

---

[٤٥]هو محمد بن محمد الغزالي، ولد في إيران سنة١٠٥٨م، متميز في مجالات علم التصوف وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، قد توفي وعمره كان ثلاثة وخمسين سنة فقط في ١١١١م (غزالي ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الشبكة الدولية)

ولكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة. ثم ما يدريني لعل ما أظنه صواباً هو الخطأ بعينه، ولا سيما في الأمور الاجتهادية." [٤٦]

ظاهرة الموالد والاحتفالات الدينية في القرية ورأي القرضاوي فيها:

ومن آثارالتصوف في قريته: الاهتمام بموالد الأولياء. وهذه الظاهرة معروفة عندنا في باكستان أيضاً بل هي منتشرة في أكثر بلاد العالم الإسلامي، وللقرضاوي رأي خاص في هذه الظاهرة الشعبية، عبر عنها بقوله:

"هذه الموالد ليست إلا "مهرجانات شعبية" وأفراحا عامة للجماهير، تنفس بها عن ذاتها، وتعبر بها عن مشاعرها، وتعطي أنفسها إجازة من عملها المضني طوال العام، الذي تكد فيه اليمين، ويعرق الجبين، لتمرح وتلهو مدة أسبوع من الزمان. ونظرا لأن مجتمعاتنا مجتمعات دينية وكل شئي في حياتها موصول بالدين، فقد مزجت هذه المهرجانات بالدين.وهي-في الحقيقة- مهرجانات دنيوية محضة، وكل ما فيها دنيا: مرح ولهو ولعب وأسواق وبيع وشراء." [٤٧]

ويرى القرضاوي أن تضبط هذه الموالد بما يضبط به كل المهرجانات الشعبية الكبرى: من حيث الإعداد وحسن التنظيم، والمحافظة على الصحة والنظافة، ورعاية الآداب العامة، وحماية عوام الناس من النصابين، إلى غير ذلك. كما لابد من توعية دينية نيرة لهذه الجماهير الغفيرة المحتشدة في هذه المهرجانات، لتصحيح عقائدهم من الشركيات، وعباداتهم من المبتدعات، وأخلاقهم من السلبيات.

---

[٤٦]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٣٠

[٤٧]المصدرالسابق، ص ٣٤

و"يوم عاشوراء" هو اليوم الذي عدّه الشيعة يوم حزن وحداد، وغلاة أهل السنة عدّوه يوم احتفال وتوسّعة. ويرى القرضاوي أن كلا الأمرين مرفوض، وكل ما جاء في عاشوراء هو الترغيب في صيامه، وكذلك في صيام اليوم التاسع قبله.

وذكر القرضاوي الاحتفالات الدينية الأخرى نحو: ليلة الأسراء والمعراج وليلة نصف شعبان والصيام في رجب وشعبان و أيّام شوال الستّة، وصلاة "طول العمر"، و"صلاة الغنى عن الناس" ودعاء النصف من شعبان المشهور. وتناول هذه المواسم الدينية برؤية عالم الدين، واستشهد في رأيه بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، ثم علّق تعليقاً جميلاً لا بد أن أذكره وهو بقوله:

"والمطلوب في العبادات: أن نقف عند ما ورد. فالأصل في العبادات وشئون الدين التعبد والاتباع، والأصل في شئون الدنيا الابتكار والابتداع*. وهذا ما كان عليه سلف الأمة في خير القرون وأزهى العصور اتبعوا في أمورالدين، وجددوا وابتكروا في أمورالدنيا، فلمّا ساء حال المسلمين وتراجعت مسيرتهم وحضارتهم: عكسوا الآية، فاخترعوا وابتدعوا في أمورالدين، وجمدوا وقلدوا في أمورالدنيا، فأضاعوا الدين والدنيا معاً." [٤٨]

ومن المواسم السنوية: يوم "المولد النبوي" الذي يحتفل به المسلمون في آسيا وأفريقيا، وأوربا وغيرها من أقطار العالم، وقد انقسم العلماء حول هذه القضية، فهناك طائفة من العلماء الذين يرفضون هذه الموالد رفضاً كلياً ويعدّونها بدعة، والطرف الثاني يمثل أغلب المسلمين، الذين

---

[٤٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٠

* هنا الكلمة المناسبة هي "الإبداع" وليست الابتداع، ولكن مكتوب في النص الابتداع.

يرون ذلك مظهراً من مظاهر الحب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويستدلون على ذلك بأنه من باب ذكر النعم، لأن ميلاد النبي نعمة عظمى، والدكتور يوسف القرضاوي، الذي منّ الله عليه إذ جعله من أصحاب الرأي الوسط يقول:

"الصحابة لم يحتفلوا بالموالد، ربما لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى ذلك، فلمّا بعد العهد، قلّ نصيب الناس من استحضارالأسوة النبوية، ربما أصبحوا في حاجة إلى ما يذكرهم بصاحب الخلق العظيم. وممّا يؤكد هذا في عصرنا أن الناس أمسوا يحتفلون بميلاد ملوكهم ورؤسائهم وعظمائهم، بل كثيراً ما يحتفلون بميلاد أولادهم، بل ميلاد أنفسهم، فلماذا لا يحتفلون بمولد من أنقذهم الله تعالى على يده، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط مستقيم؟! فإذا حوّلنا احتفالات هذه الموالد إلى ندوات أو مؤتمرات سنوية للحديث عن الرسول العظيم وشخصيته وسيرته ورسالته، فقد كسبنا من وراء ذلك كسبا عظيما، وأبلينا في سبيل دعوة الإسلام بلاء حسناً." [٤٩].

نظام الحياة اليومي في القرية وتأثيره عليه:

كان نظام الحياة اليومي في القرية، كمعظم قرى المسلمين، مرتبطاً بالصلوات الخمس، فكان الناس يستيقظون مبكراً، وينامون عادة بعد صلاة العشاء وقد تأثرالقرضاوي بهذا النظام تأثراً بالغاً، فالتزم به في سائر حياته. حتى نراه يقضي أيامه في معتقل الطور مرتبطا ومنضبطا بالصلوات الخمس مع الاستيقاظ المبكر والنوم المبكر.

[٤٩]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٣٧، ٣٨

الاهتمام بالقرآن والصدقة:

إن وجود أربعة كتاتيب في القرية دل على اهتمام أهل القرية بالقرآن الكريم وحفظه. وكان الناس يعتقدون أن كل بيت لابد أن تخرج منه كل يوم صدقة، يسمونها "حسنة". وهذا الاهتمام حدّد مسلك القرضاوي في الحياة، فقد حفظ القرآن الكريم، وفهمه فهماً عميقاً، حتى صار داعياً إلى طريق القرآن، وهو سبيل الله عزّ وجلّ، وكان يشغل كل فرصة للدعوة إلى الله، حتى وهو يتحدث عن ذاته في سيرته لا ينسى الدعوة إلى الله كما نرى من البداية إلى النهاية في كتابه الذي نحن بصدده.

موقفه من المعاصي في القرية والخلل في الفهم والسلوك:

كانت المعاصي(الكبيرة) قليلة في القرية أو ربما غير شائعة. ويرى القرضاوي أن "المعاصي إذا استترالناس بها لم تضر جماهير المجتمع، إنما تضر وتؤذي حقاً إذا شاعت واشتهرت وتبجح بها مرتكبوها." [٥٠]

قد يوجد الزنى، ولكن في خفية وإسرار. ولم تكن الخمر معروفة في القرية، ولا يعرف بها أحد من أهل السّكر. ولكن جريمة القتل كانت تقع بين الحين والحين، وهي من العادات الجاهلية، وعلى الرغم من هذا الاستغراق في الجانب الديني، كان هناك خلل كبير في الفهم والتفكير وفي السلوك والعمل. فقد حدد القرضاوي الخلل في الفهم في الجبرية في العقيدة حيث يعتقد الإنسان بأنه مسيّر لا مخيّر، والشركيات مثل التبرك بالأحجار، واستخدام التمائم والأحجبة، والمبالغة في تعظيم الأولياء والصالحين ومثل الذهاب إلى الكهنة والعرافين ومثل الخرافات التي انتشرت عن السحر والجن والعفاريت. ومثل ذلك عفريتة المقتول، أما الخلل في

[٥٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٥

السلوك فذكر القرضاوي أن هناك عدداً من الناس لا يؤدون الصلاة وإن كانوا مكروهون من قبل الناس، يعالج القرضاوي هذا الخلل معالجة الفقيه مستشهداً بالقرآن العظيم والأحاديث النبوية.

صورة التعليم الديني للمرأة في القرية:

من سوء الحظ أن كثيراً من النساء يعشن ويمتن و لم يركعن لله ركعة واحدة، في بيت يصلي فيه الرجال، يعتقد القرضاوي أن هذا كان من ثمرات حرمان المرأة من الذهاب إلى المسجد، فيقول:

"والعجيب أنهم قالوا: تصلي في بيتها، وعلى أبيها أو زوجها أن يفقهها في الدين، ولكن إذا كان الأب أو الزوج نفسه في حاجة إلى من يعلمه أو يفقهه في الدين، فكيف يفقه غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه؟! وقد ضل من كانت العميان تهديه!"[٥١]

ويقوي موقفه بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال النبي عليه السلام:

"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[٥٢]

الحياة الاقتصادية في القرية:

كانت الأشياء في قريته رخيصة جدّا. وكان الناس يتبادلون الأشياء تحت النظام المقايضة لندرة النقود. كانت الحياة الاقتصادية تقوم أساساً على الزراعة، وكان رأسمال الفلاح أرضه وبهائمه، ومعظم التجارة في القرية كانت تدور حول محاصيل الزراعة، أو المواشي، أو نحو ذلك. وكذلك العمالة كلها كانت تتصل بالزراعة، حتى نشأ مصنع المحلة الكبرى للغزل

---

[٥١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٩

[٥٢] "مسلم، الجامع الصحيح": كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد

والنسيج. وكانت معظم الصناعات التي يفتقر إليها الناس موجودة في القريه، وكانت القرية- بصفة إجمالية- مكتفية بذاتها في اقتصادها. فقد ذكر القرضاوي صوراً لأطعمة أهل القرية ومشاربهم بالتفصيل. ومن آلاء الله أن أسرة والدته كانت من تجار الفاكهة المعروفين في منطقته، فكان هو وأسرته يشبعون من الفواكه التي يحرم منها كثيرون.

تعلّم القرضاوي من الحياة الاقتصادية في قريته ما ساعده على تكوين الرأي الخاص في بعض الأمور، فيقول:

"وهذه المشاهد التي رأيتها في القرية هي التي جعلتني أرجح المذهب الذي يمنع" إجارة الأرض البيضاء بالنقود" **وأفضل عليها "المزارعة" التي يشترك فيها الطرفان في المغنم والمغرم، فإن كان** لابد من الإجارة، فلتكن مصحوبة أو مشروطة بوضع "الجوائح" إذا نزلت بالزرع."[٥٣]

الحالة الاجتماعية في القرية:

قام تكوين قرية القرضاوي الاجتماعي على أساس طبقي واضح، فهناك طبقة عليا يقابلها طبقة دنيا، وبينهما طبقة وسطى، وأساس هذا التقسيم هو المال، وأهم مظاهر الغنى هو ملكية الأراضي الزراعية (ملكية الأطيان)، فكان الأعيان في القرية هم أصحاب الأطيان، وكانوا عائلتين على حد تعبير أهل صفط "الخضاروة والنوايرة".

وكان الجمهور الأعظم من أهل القرية يكونون طبقة الأهالي، التي تشتمل على الفلاحين والحرفيين والعمال وصغار التجّار، وهم الذين قامت على سواعدهم حياة القرية، وكانت هناك طبقة وسطى، وهي التي تتكون من صغار ملاك الأطيان، ومن التجّار الناجحين،

[٥٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٥٢

فكانت هذه الطبقة تحاول أن ترتفع عن الطبقة الدنيا، وإن كانت منها، وأن تقترب من الطبقة العليا، وإن لم تعترف بها، لكنها لا تملك إلا إحترامها. وكان علماء الدين من الطبقة الوسطى، الذين يحظون بالاحترام والتقدير من جميع الطبقات.

وكان أهالي القرية مترابطين فيما بينهم، متضامنين في السراء والضراء، في الأفراح وفي الأحزان، كانت علاقة المرأة بالرجل بين طبقة الأهالي أقرب ما تكون إلى منطق الإسلام وحكم شريعته، يكاد أهل القرية يكونون أسرة واحدة لا سدود بينهم، لهذا ولوجود الأمان والثقة بين الناس، كانت العادة في القرية أن تظل أبواب البيوت مفتوحة، إلا إذا خلا البيت، هكذا نشأ القرضاوي على حب الأبواب المفتوحة، وكراهية الأبواب المغلقة.

موقفه من الإقطاع الزراعي في مصر:

يقارن القرضاوي الباشوات الأقدمين بالباشوات المحدثين لكي يتضح الفرق بين الإقطاعيين في مصر وأروبا، ويستنتج بأن القدامى كانوا أفضل بكثيرمن الإقطاعيين الجدد، لأنهم كانوا يفتحون بجوار بيوتهم بيوتاً تسكن فيها الأسرالفقيرة، وأما الباشوات المحدثين فلا ينتفع من ورائهم أحد، إذ إن أولئك لهم أصول وجذور يستندون إليها، وهؤلاء لا أصول لهم ولا جذور.

الزواج في القرية:

كان أهل القرية حريصين على أن يزوجوا أولادهم مبكرين، لكي يحصنوهم من الانحراف، ولكي يحفظوا نصف دينهم، وأن ينجبوا ذريتهم في وقت مبكر. وكانوا أشدّ حرصا على المصاهرة إلى الأسر الأصيلة والكريمة، وكانوا يحبون كثرة النسل، و لم تكن فكرة تحديد النسل واردة في ذلك الوقت. وكان الزواج في غالبه موفقاً، يقوم على السكينة والمؤدة والرحمة.

وكان أكثر الناس يكتفي بزوجة واحدة، ومع هذا كان تعدد الزوجات شائعاً، وكانت الأسرة في غالب أمرها مترابطة بين أفرادها، فالأولاد يبرون آباءهم وأمهاتهم، وكان الآباء والأمهات يحنون على أولادهم بنين أو بنات، وكانت ظاهرة العقوق للوالدين نادرة.

تعليق القرضاوي على منهج الطلاق في القرية:

وكان الأصل في الزواج: الاستقرار وعدم الطلاق، لأن الناس كانوا يكرهون الطلاق، ولكن قد ينتهي الزواج بالطلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله. وللأسف الشديد كثيراً ما كان يحدث الطلاق، في حين لا يريده أحد من الزوجين، وذلك في "الطلاقات" التي يوقعها "الفقه التقليدي" الموروث، يعلّق الدكتور بأن:

"كثيراً ما دمّرت أسر وخربت بيوت، وشتّت أطفال، نتيجة هذا الفقه الذي توسّع في إيقاع الطلاق، فأوقع الطلاق البدعي والسني، وأوقعه إذا أريد به اليمين، وأوقعه في حالة الغضب والرضا، وأوقعه إ ذا كان له وطر أم* لم يكن له وطر."[٥٤]

الخدمات العامة ومستوى النظافة في القرية:

لم تكن الخدمات العامة نحو المستشفيات، ومحطات القطار، والملاعب وغيرذلك متوفرة في القرية، فكان الأطفال يلعبون في الطرقات والشوارع، والناس كانوا يذهبون إلى مستشفيات القرى المجاورة، وكان مبستوى النظافة العام في القرية منخفضاً، لأن مستوى المعيشة العام لدى أهالي القرية كان منخفضاً.

---

[٥٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٧٥

*الكلمة المناسبة هنا هي "أو" لأن القاعدة تقول أن "أم" لا تأتي إلا بعد الهمزة.

موقف أهل القرية من قضية الموت:

كانوا يستقبلون الموت بالبكاء والعويل والصراخ، وكثيرا ما كانوا يرتكبون المخالفات الشرعية التي برئ منها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اعتاد الناس أن ينصبوا العزاء ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك أيام الخميس الأول والثاني والثالث، ثم الأربعين، ثم الذكرى السنوية، وعمل الرحمة والبيات في المقبرة ليلة عيد الفطر والأضحى، ولبس الثياب السوداء حزناً على الموتى الأقربين مدة سنة كاملة، وعدم الزواج من الأرامل وغير ذلك. ولكن بعد إنتشار التعليم والوعي، تغيرت هذه العادات بالتدريج.

ونرى تقريباً نفس الكيفية في حارة عبد الحميد جودة السحار وخاصة في أسرته، حيث يقول:

"وإذا بأصوات نسوة تعلو على أصواتنا فانجفلنا مفزوعين، وقبل أن نذهب لنرى ماذا حدث إذا بأمي تدخل تولول وتقول إن جدنا قد مات. مات؟! إنه كان يأكل معنا البطيخ من لحظات، وفي مثل لمح البصر مر بخاطري كل المحرمات التي ستفرض علينا، الذهاب إلى السينما سيصبح عيباً، أكل السمك سيحرم، لن تدخل الكنافة والبسبوسة ولا أي صنف من الحلوى بيتنا قبل مرور أربعين يوماً، ومن يدري فقد تقرر أمي أن جدي يستحق أن نحزن عليه سنة، وعلينا أن ندخل صامتين مطرقين لا تنفرج شفاهنا عن بسمة وإلا اتهمتنا أمنا بموات الشعور والإحساس."[٥٥]

[٥٥] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٤٩-٥٠

ظاهرة الفتوات:

وكان في القرية ظاهرة الفتوات التي يرى القرضاوي أنها جدير بالذكر وما هم مثل "فتوات القاهرة" القديمة التي تحدث عنهم نجيب محفوظ في رواياته المعروفة، بل كانوا رجالاً لهم نفوذ معنوي يرهبهم الناس، ويحترمونهم في نفس الوقت، لأن لهم أتباعاً من صغار المجرمين، يحملون أسلحة بيضاء في أيديهم لتنفيذ ما يبتغون، والانتقام ممن يريدون. وبعض الفتوات كانوا لا يستخدمون المجرمين الصغار في ارتكاب الشرور والجرائم، وإنما يتعززون بهم فقط.

الحياة الثقافية في قرية صفط التراب:

لم تكن الحياة الثقافية نشيطةً في القرية لتفشى الجهل فيها، و لم تكن هناك مكتبة عمومية في القرية، وكان المتعلمون فيها أقلية، وأكثرهم من خريجي الكتاتيب، وكانت الكتب المقروءة إما كتب وعظية وإما من كتب القصص الشعبي، وكان يلتف جل الناس في القرية حول الشاعر الذي يحكي قصة شعبية أو محلية على "الربابة"، ليستمعوا إلى القصة في إعجاب وتأثر وتفاعل مع الأحداث عدة ليال. و لم تكن في القرية سينما، ولا يعرف الناس التمثيل، إلامن خلال عمل فني بسيط مكرر يقام في "الأعراس" اسمه "الخيال". وكانت جريدة "الإهرام" هي الصحيفة الوحيدة المعروفة بين الناس، ولكن لم يكن يقرؤها إلا القليل جداً من أصحاب القرية لعدم القدرة على شرائها، وكان الناس يستمعون الراديو من أجل سماع الشيخ محمد رفعت وسماع الأخبار في مقهي يسمونه "القهوة الكبيرة"، وكان معظم المثقفين من خريجي الأزهر، وقليل منهم من دارالعلوم، ومن دارالمعلمين، وكان خريجو الجامعة في الغالب مقصورين على أبناء الأعيان من الخضاروة أو النوايرة، وقل منهم من كان يجتاز كل

المراحل التعليمية، حتى ينهي الجامعة. أما غير الأعيان، فكانوا بعيدين عن التعليم العام لكلفته، إلا قليلاً جداً منهم. وكان أعظم مصدر للثقافة في القرية هو المسجد، ولكن قيمة المسجد وروحه وجوهره تتمثل في "شيخ المسجد". وكان للقرية فنونها الخاصة بها، المعبرة عن طبيعتها، آمالها وآلامها، فكان هناك فن الغناء، غناء الفرح وغناء الحزن. يبرز ويتجلى غناء الفرح والسرور في مناسبات شتى، أهمها "الأعراس"، الاحتفال بالمولود عند ولادته و"السبوع" (وهذا الاحتفال له أصل شرعي، وهو "العقيقة"، والاحتفال بختان الذكور. وكان الغناء شائعاً في القرية في ألوان شتى بين بائعي الفاكهة والخضراوات وأمثالهم، وبائع العرقسوس، والبنّائين والفعلة. وهناك غناء "المسحراتي" في شهر رمضان، وفن "المواويل" وهو فن يغني فيه الإنسان لنفسه، أو لأصحابه من حوله. ومن الفنون الدخيلة على القرية: فن "الرقص الشرقي" الذي كان يفد إلى القرية ما بين الحين والحين في صورة "الغوازي" جمع "غزية"، وقد شهدهن الدكتور في صباه، وكانت هذه فتنة للناس، كنّ يمكثن في القرية بضعة أيام في الغالب، ثم يرتحلن عن القرية، وقد خلفن فيها من بذور الفساد.

الحياة السياسية في القرية:

لم يكن الناس في قرية الدكتور القرضاوي في عهد صباه مشغولين بالسياسة لسببين، وهما: انتشار الأمية بين الناس ومشغوليتهم بلقمة العيش. إنما الاهتمام بالسياسة يحتاج إلى قدر من الوعي، ومتابعة القضايا العامة، وقراءة الصحف ونحو ذلك. ولم يكن هذا ميسوراً لأهل القرية، وإنما الناس يفكرون في السياسة حينما يشعرون بشيء من الراحة وقدر من الفراغ، لكي يخرجوا من شأنهم الخاص إلى الشأن العام، ولكن أهل القرية كانوا مشغولين بمعركة

الخبز، وهي معركة مريرة طويلة، قوامها المعاناة والكدح من الفجر حتى غروب الشمس، فما كان هناك أي نشاط سياسي جدير بالذكر، ومما يذكره القرضاوي أنه:

"كان التركيز على الوطن والوطنية، دون اهتمام بأي وحدة إسلامية ولا عربية، وإن كان الناس في القرية يتحدّثون عن "برّ الحجاز" و"برّ الشام" و"برّ العراق" و"برّ المغرب" و"برّ السودان" وغيرها. ونرى الناس مرتبطين بهذا "البرور" ويحسون بأن هذه الأوطان منهم، وهم منها. وهذه بقية من آثار الأخوة الإسلامية ودلائلها. يؤكدها كل جمعة الخطباء على منابرهم، الذين يدعون الله باستمرار: أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن ينصر أمة محمد، ويصلح أمة محمد في كل مكان."[٥٦]

ويرى القرضاوي أن "حب الوطن عاطفة فطرية ولكن لا يجوز الغلو فيها على حساب عواطف أخرى، وقيم أخرى، مثل قيمة الأخوة والوحدة والعقيدة."[٥٧]

صورة عن أسرة الدكتور يوسف القرضاوي:

كانت أسرة القرضاوي، على الرغم من منزلتها الاجتماعية التي تتجلى في مصاهراتها وروابطها لا تملك شيئا من الأطيان. وكانت تعيش على الأرض المستأجرة، تزرعها وتأكل من ثمرها وتدفع منها الإيجار، وكان هذا يتطلب من الأسرة أن تكدح وتتعب وتعرق حتى تحقق الكفاية لأفرادها، فلا مجال في الأسرة للهو وعبث، ومن النوازل التي تنزل بالأسرة، أكثر من مرة موت الجاموسة، وهي رأسمال الفلاح، أهم مصدر خير ورزق للأسرة، فكان الناس

---

[٥٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٩٨

[٥٧] المصدرالسابق، ص ٩٧

يعزونهم إذا فقدوها، وعلى الرغم من ذلك، كانت تمضي أمور الأسرة سهلة ميسرة، لأن مطالب الناس كانت محدودة وحاجاتهم قليلة، قد تعترض الأسرة صعوبة إذا جدّت أشياء تتطلب مالاً خاصاً نحو الزواج والمرض ، فهنا لا تجد الأسرة لمشكلتها حلاً ميسوراً، وهذا الضيق النسبي في المعيشة كان من عوائق تقديم القرضاوي لدخول الأزهر.

وعبد الحميد جودة السحار أيضاً يقول في سيرته الذاتية:

"كانت الحياة سهلة ميسورة فما كنا نستشعر خوفاً من المستقبل وما كنا نلمس حقد طبقة على طبقة"[٥٨]

قد ينتمي أصول القرضاوي إلى أسرة طيبة صالحة كما يصورها نفسه، وهذا هو ما نسميه البذر الصالح في الأرض الصالح ينمو ويكبر ويثمر ثمرة طيبةً. يرسم القرضاوي صورة جدّه كما يلي:

"جدّي كان تاجراً مستقيماً، لا يكذب ولا يغش، ولا يحلف، ولا يبيع إلا البضاعة السليمة والطيبة"[٥٩]

رأيت تقريباً نفس الصورة لأسرة أحمد أمين، حيث يقول:

"فأسرة أبي من بلدة "سمخراط" من أعمال البحيرة أسرةفلاحة مصرية...وأما أسرة أمي فأصلها على ما روي لي من "تلا" من أعمال المنوفية... وكانوا يشتغلون في تجارة (العطارة)،

---

[٥٨]"هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٣١٠

[٥٩]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٠٨

وكانوا ناجحين في تجارتهم، وكانوا -مع مهنتهم التجارية- يحفظون القرآن، ويحسنون قراءته، ويلتزمون شعائر الدين، وكان أحد أخوالي سمحاً كريماً كثير الإحسان للفقراء."[٦٠]

يصور الدكتور يوسف القرضاوي عمّه أحمد هكذا:

"كان فلاحاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه كان حكيماً عاقلاً غير متهور، وكان عطوفاً رقيق القلب، محترماً بين الناس، وكان يصلي الصلوات- حتى الفجر- في المسجد، وكان قنوعاً بعيشتنا المتواضعة. وكان عمي برغم أميته يحكي لنا بعض القصص المسلية، ويمتحنني ببعض الألغاز." [٦١]

ويرسم لنا صورة أمه وهي فتاة ريفية، صالحة، قانتة لله ومطيعة لوالديها، صابرة ومدبّرة، التي رعت ولدها المحبوب رعاية حسنة مليئة بالحب والرحمة، فقد نشأ الدكتور القرضاوي تحت رعاية الصالحين والصالحات، فما أحسن رعايتهم وما أحسن نشأته!

هكذا يدعي أحمد أمين أن كل خصائص بيته انعكست في طبيعته وكونت أهم مميزات شخصيته، فهو يقول:

"وعلى كل حال فالبيت يبذر البذور الأولى للحياة ويتركها للتربة التي تعيش فيها، والجو الذي يعاكسها أو ينميها، حتى تعيش عيشتها المقدورة لها وفقا لنظام الكون وقوانينه."[٦٢]

ومن خلال قراءة السيرة الذاتية للقرضاوي شعرت بأنه رجل صاحب أفكار إيجابيّة، فلا أكاد أعثر على أي شعور بالترحم النفسي بسبب حرمانه المبكر من أبيه بل يقول: "للناس بيت ولي

---

[٦٠] "حياتي" لأحمد أمين، دارالكتاب العربي بيروت لبنان، ط٢، ١٩٧١م،ص٥٩

[٦١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٠٥

[٦٢] "حياتي" لأحمد أمين، ص٦٨

بيتان"، ثم يقارن بين بيتين فقد ذاق طعم الفقر والثروة وطعم العسر واليسر معاً، وأثرهما على شخصيته إيجابياً.

كانت الطفولة الأولى سليمة من الناحية الصحية، فلم يصبه أي مرض خطير في أيام طفولته، فإذا أصابه بشئي من مرض ولو بسيط فقالوا "الولد محسود"، وعالجوه بالرقية المتوارثة للمصاب بالعين أو بالحسد.

رأي القرضاوي في الرقي والتمائم:

يعترف القرضاوي أن العين حق، كما جاء في الحديث الشريف، وكما كان يعقوب عليه السلام يخشى على أبنائه العين فنهاهم أن يدخلوا من باب واحد، وهذا الأمر معروف لدى الأمم من القديم، ولكن يقول القرضاوي:

"آفة هذه الأمور هي المبالغة فيها، بحيث تحيل كل بلوى تصيبك إليها، ولا تفكر في السبب الحقيقي الذي أدى إلى هذه النتيجة، وقد يترك بعض المرضى دون علاج حتى يقضوا نحبهم، اعتقاداً بأنهم معيونون أو محسودون، دون بحث عن الأسباب المادية وراء ذلك، والإسلام شرع التداوي بالأدوية المادية، مع الإستعانة بالأدوية الروحية مثل: الرقى والأدعية والأذكار، التي لا يجحد أحد أثرها في نفس المريض، على أنه لا يجوز أن نتقي العين ونحوها بالتمائم والحرازات -(ما يسمى الخمسة والخميسة)- ونحوها."[٦٣]

[٦٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١١٥

دور الكتاب في نشأة الدكتور القرضاوي:

نشعر بعنوان السيرة الذاتية للدكتور يوسف القرضاوي، بأنه قد تأثر بالكتاب تأثراً عميقاً حتى سمّى سيرته الذاتية "ابن القرية والكتاب"، الابن هو ثمر تربية ورعاية والديه، هكذا القرضاوي هو ثمر طيب لجهود وتربية ورعاية كتابه، كانت الكتاتيب الأربعة لتحفيظ القرآن في صفط، تنسب إلى معلميها وهي في العادة ملاصقة لبيوتهم، حيث منزل القرضاوي في وسط البلد، فقد ذهب أول ما ذهب إلى كتاب الشيخ يماني مراد بحثّ من أحد أقاربه، ولكنه انتسب إلى هذا الكتاب يوماً واحداً فقط، وذلك لأن الشيخ يماني ضرب التلاميذ جميعاً لتنشيطهم وما أعفي القرضاوي، فعزّ عليه أن يضرب ظلماً وبلا سبب وفي أول قدومه، فرفض العودة إلى هذا الكتاب مرة أخرى، وانقطع عن الذهاب إلى أي كتاب مدة من الزمن، نفوراً من الظلم، بأن كراهية الظلم، خصلة قديمة عنده، فيقول:

"ويبدو أن كراهية الظلم والنفور منه، والثورة على مرتكبيه- ولو كان ظلماً صغيراً- خصلة قديمة عندي، أو هي فطرة فطرني الله عليها، فلا أحب أن أظلِم أو أظلَم. وقد تعلمت بعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذ بالله أن يظلِم أو يظلَم، أويجهِل أو يجهَل عليه." [٦٤]

وشعرت نفس الإحساس بالظلم في حياة عبد الحميد جودة السحار إذ كان يذهب إلى مدرسة سليمان جاويش، وكانت حافظته تخونه دائما إذا ما نهض للتسميع، فكان مدرس الدين يضربه ضرباً شديداً بالمؤشر حتى كسر المؤشر ذات يوم وهو يضربه، فإذا ترك مدرسة سليمان جاويش فرح فرحاً شديداً، فيقول:

---

[٦٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١١٩

"فهزّني الفرح لأنني سأتخلص أخيراً من ضرب مدرس الدين الذي كان مقرراً عليّ في كل حصة دين."[٦٥]

كانت أم القرضاوي امرأة صالحة، حريصة كل الحرص على أن يتعلم ابنها، فلهذا حرضته على طلب العلم بكل طريقة حتى أخذته بيده وسلمته إلى الشيخ حامد وقالت له:

"هو أمانة عندك... قال لها إنه ابننا وهو في أعيننا" [٦٦]

قد استقبل الشيخ حامد القرضاوي استقبالاً حسناً، وعامل معه معاملة طيبة، كان القرضاوي محظياً عنده وعند والدته، وكان أول صبي يحضر إلى الكتاب تصطاده البراغيث وتتجمع عليه، وهذا ما كان يحدث له كل يوم، لأن أرضية الكتاب كانت من التراب. والقرضاوي صاحب الفكرة الإيجابية، فيقول:

"هذه البراغيث سهلت عليّ فهم قاعدة في النحو عرفتها بعد ذلك، وهي تجري على لغة من لغات العرب، يسمونها لغة: "أكلوني البراغيث!" [٦٧]

كان الكتاب بمثابة مدرسة خاصة، ولكن رسومه كانت أقل منها، كان يأخذ الشيخ حامد نصف قرش في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وكما يشاء الله تعالى مع هذا كان نصف القرش ثقيلاً على بعض الطلاب، وكان القرضاوي منهم، سامحه الشيخ حامد لسببين: كان يعرف أنه يتيم، ولنجابته بين تلاميذه، فقد كان يأخذ نصف قرش منه لأسبوعين، حتى اكتفي بنصف جنيه مكافأة ختم القرآن، بدلاً من جنيه كامل، رعاية لحاله وهذا يدل على فضل الشيخ ومكارم أخلاقه، ويعترف

---

[٦٥] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، دار مصر للطباعة، (ب-ت)، ص٣٠

[٦٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول ص١٢٠

[٦٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٢٠

القرضاوي فضل الشيخ حامد عليه أنه لم يضربه قط، برغم أنه كان يضرب كثيراً من تلاميذه، حتى أعفاه مرة، وهو كان مستحقاً للعقاب لانصرافه من أصول المدرسة في السباحة، ويظن القرضاوي بأنه دبّر الأمر لكي تجنب القرضاوي من الضرب- هذا يدل على فهم الشيخ للأصول النفسية لأن الضرب لا ينفع الجميع بل يضر بعض الناس مثل القرضاوي ، وكان يحب هذا التلميذ الذكي المطيع، فصرف عنه لأنه قد أخطأ أول مرة، يرسم القرضاوي صورة الشيخ حامد صورة جميلة كما يلي:

"كان الشيخ حامد من حفاظ القران المحترمين، محتفظا بكرامته، وكان رجلا بسيطا نظيفا أنيقا، يلبس جلبابا وعمامة، ويصلي الصلوات الخمس في المسجد، وهو قريب من البيت والكتاب، وكثيرا ما يؤم الناس إذا تغيب الإمام الراتب." [٦٨]

طريقة التعليم في الكتاتيب:

كان التلاميذ يتعلمون بعضهم من بعض القراءة والكتابة بالمحاكاة، ولم تكن في الكتاب طريقة منهجية للتعليم وكان الشيخ يستعمل السبورة أحيانا أو يطلب من التلاميذ المحاكاة و الكتابة في اللوحات، عدة مرات، حتى يتعلموا الكتابة. كان عمل التلاميذ في الكتاب: حفظ فقرة مناسبة من القران الكريم، ثم كتابتها بأيديهم في لوح مدهون بالزيت، بحيث يصلح لكتابة عليه بالحبر، ثم تصحيح الكتابة على الشيخ، ثم تحفيظ في المترل بعد عودتهم من الكتاب. و في اليوم الثاني السماع على العريف، فمن لم يكن حفظه حفظاً جيداً فيرده الشيخ ليجود حفظه، بعد سماع المحفوظ اليومي، كانوا يراجعون ما حفظوا من قبل، يسمى "ماضي"، ويرددون كل يوم كلمات

[٦٨]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٢١

كالببغاوات، بطريقة ملحنة وبطريقة الأناشيد ولا يفهمون لها معنى، وهكذا كانوا يرددون الكلمات يحفظونها في العقيدة والسيرة النبوية دون فهم المعنى، يقول القرضاوي:

"والذين يلقنون الصبيان العقيدة بهذه الصورة على المذهب الأشعري أخطأوا الطريق، فالإيمان لا ينشأ بهذه الطريقة، ولا يتكون على هذا التلقين فكر سليم، ولا عاطفة حية." [٦٩]

كان الشيخ حامد حريصاً كل الحرص على أن يعلم القرضاوي بعض الدقائق التي يراها تفيده في تحفيظ القرآن، على سبيل المثال كان يسئله بعض الأسئلة لإتقان الحفظ، نحو كم مرّ جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أو كم مرة ذكر قوله تعالى ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وغير ذلك، يذكر القرضاوي:

"وكان الشيخ حامد يعطينا بعض الضوابط في الآيات المشتبهة، التي كثيرا ما يحدث الخطأ من التلاميذ، ويلتبس بعضها ببعض، مثل كلمة "ضراً ولا نفعاً" أو "نفعاً ولا ضراً" فقد يضع التلميذ هذه موضع تلك، فحفظنا الشيخ حامد تلك الجملة لضبط ذلك: والنفع قبل الضر يا ذا النبا... في سورة الأعراف، والرعد، سبأ." [٧٠]

الأيام التي مضت في المدرسة الإلزامية:

في السنة السابعة من عمره، انضمّ القرضاوي إلى الكتّاب ثم تعلم في المدرسة الإلزامية الحكومية، في قريته، وكانت تتبع في ذلك الوقت مجلس مديرية الغربية، كانت المدرسة تقع في حارته، وكان

[٦٩] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٢٢

[٧٠] المصدر السابق، ص ١٢٤

دخولها ضروريا ومهما، لتكمل ما يقوم به الكتاب، وكان في المدرسة مدرس قريب له، هو الشيخ عبدالله زايد، أدخله الشيخ الفصل الأول وكتب له جدول الضرب في ورقة للتحفيظ في الأسبوع الكامل لكي يمتحنه فيه، ولكن حفظ القرضاوي الجدول في يومين أو ثلاثة عن ظهر قلب، وذهب للإمتحان، و لم يخطئ في رقم واحد فيه.

وجد القرضاوي المدرسة غير الكتاب تماماً من حيث المبنى، ومن حيث المعنى، وخلاصة القول أن الكتاب مؤسسة فردية تعتمد على فرد مؤسس وهو مسؤل عن كل شيء، فإذا صلح، صلحت المؤسسة، وإذا فسد، فسدت المؤسسة كما يعتمد الجسد على القلب، ولكن المدرسة هي مؤسسة جماعية تتوزع فيها المسؤلية على المدير والمعلمين، وعليها تفتيش من وزارة المعارف، والمناهج التي تنفذ في المدرسة، لم تضعها هي، إنما وضعت من لجان متخصصة من قبل الوزارة، ولقد أتيح للقرضاوي أن يجمع بين خيرى المؤسستين، فساعده الكتاب في حفظ القرآن وتجويده وحسن ترتيله، أما المدرسة فتعلم القرضاوي فيها ما لا يوجد في الكتاب من المعارف التي لابد منها.

وأريد أن أذكر هنا ماذا كتب أحمد أمين في سيرته الذاتية عن الكتاب والمدارس الحكومية، حيث يعدّ بيته المدرسة الأولى وحارته المدرسة الثانية والكتاب المدرسة الثالثة، ومن سوء الحظ كانت معاملة الأساتذة له سيئة في الكتّاب، فيقول:

"من أجل ذلك كرهت هذا الكتاب وهذا التعليم وسيدنا، وتنقلت في أربعة كتاتيب من هذا القبيل كلها على هذه الصورة، لا تختلف إلا في أن الحجرة واسعة أو ضيقة، وأن سيدنا لين أو شديد، وأنه أعمى العينين أو مفتوح العينين، أما أسلوب التعليم فواحد في الجميع... على كل حال لبثت في هذه الكتاتيب الأربعة نحو خمس سنوات حفظت فيها القرآن وتعلمت القراءة والكتابة... على

كل حال، أحمد لأبي أن أخرجني من هذه الكتاتيب الكريهة، وأدخلني مدرسة ابتدائية هي مدرسة "أم عباس" أو كما تسمى رسمياً "والدة عباس باشا الأول" أو كما تسمى اليوم مدرسة بنباقادن. كانت مدرسة نموذجية، بنيت على أفخم طراز وأجمله... فكان هذا الجمال الجديد عزاء لذلك القبح القديم."[٧١]

موقف القرضاوي من حفظ القرآن في الصغر:

هناك نظرية بين الناس، يقولون على أساسها: لا يجوز أن يحفظ الطفل ما لا يفهم، فأصحاب هذه النظرية يخالفون تحفيظ القرآن الكريم في الصغر ولكن القرضاوي لا يتفق معهم بل يقول على أساس تجربته الذاتية:

"ولكن هذه النظرية لا ينبغي أن تطبق على القرآن، فإن حفظه في الصغر كالنقش على الحجر، ولقد حفظناه واختزنّاه صغاراً، فنفعنا كباراً، ومن حفظ القرآن في كبره قلما يثبت إلا بمجاهدة ومداومة على تلاوته ومدارسته، وإلا تفلت كما تتفلت الإبل من عقلها." [٧٢] يستشهد القرضاوي بنص القرآن ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾[٧٣]

عندنا في باكستان هناك كثير من الناس يقولون على أساس تجاربهم الذاتية بأن العمر المناسب لتحفيظ القرآن هو بعد العاشرة على الأقل، لكي يفهم الطفل ماذا يقرأ ويحترم المصحف، ويبدأ

---

[٧١] "حياتي" لأحمد أمين، ص٨١-٨٢-٨٥

[٧٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٣٣

[٧٣] القرآن الكريم، سورة القمر، آية ١٧

الطفل يشعر بالمسئولية في هذا السن أيضاً ، والقرآن يلزم بالمسؤلية العظمى، لابد من شعورها، كما ورد في النص:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٧٤]

وكما أشعر أنا، هذا ينحصر على الطفل ووالديه وعلى البيئة التي يعيش فيها متى يناسب حفظ القرآن، فلهذا لا يمكن لنا أن نجعل أي قاعدة ملزمة في هذا.

أول جائزة في حياة القرضاوي:

بعد ختم القرآن، وما زال هو في المدرسة الإلزامية، كان في الحادية عشرة من عمره، استدعى القرضاوي إلى إدارة المنطقة التعليمية بمجلس مديرية الغربية بمدينة طنطا، للامتحان في القرآن الكريم، فذهب مع الشيخ حامد ابو زويل، قد حصل القرضاوي مكافأة (وقدرها جنيه وربع جنيه) بوصفه أحفظ التلاميذ في المديرية، لأنه أجاب نحو ثلاثين سؤالاً من مختلف أجزاء القرآن وسوره وما أخطا بفضل الله تعالى، فقد فرحة القرضاوي بهذه الجائزة كانت لا تقدر، لأنها جاءت على غير توقع، ودلّت على أن الله لا يضيع أهل القرآن، بعد تذكرة هذه الجائزة، يصف القرضاوي بأن الدول العربية تتنافس في إكرام حفاظ القرآن الكريم بالمال وهذا من فضل الله تعالى على حفاظ كتابه، والحقيقة أن الله يوسع على هذه الدول فلتوسع على أهل القرآن.

[٧٤] القرآن الكريم، سورة الحشر، آية ٢١

تجارب القرضاوي في مجال التجارة:

يذكرلنا القرضاوي بعض تجاربه في مجال التجارة والرزق، دفع القرضاوي مرة جنيه عمه الذي قال له أن سيكون له به عشر الجاموسه، أي ما يجيء الجاموسة له عشر، وما يجيء منها عادة "عجل" في كل سنة، يباع بعد أسابيع "بتلو" بخمسة جنيهات، ولكن الذى حدث أن الجاموسة لم تحمل في تلك السنة و لم تلد على خلاف سنوات الماضية، وقال له عمه: "هذا حظك يا بني! وهي أرزاق من عند الله"[٧٥] وهكذا كانت نتيجة جميع تجاربه التجارية خسران أو عودة المال بالتقسيط دون أي نفع، ولكن كما نرى القرضاوي رجل صاحب أفكار إيجابية، فيعلق على هذه التجارب تعليقاً جميلاً ويقول:

"وأنا لست من المتطيرين والمتشائمين، ولكن يبدو لي من تجاربي وممارساتي في عالم التجارة والمال: أني من قليلي الحظ في هذا المجال، فجل المشروعات التي دخلت فيها أو شاركت فيها قدر الله أن تخسر، وليس هذا في مشروع ولا اثنين ولا ثلاثة، تكاد كل المشروعات التي ساهمت فيها - إلا القليل منها - تنتهي بضياع ما وضعت فيها من مدخراتي من كسبي ومن كتبي... مع هذا، فإن خير الله عندى كثير، وفضله لا يجحد، ونعمه لا تحصى، وما ضاع مني شيئ إلا عوضني الله مثله أو خيرا منه، ولا يدري أحد أين يكون الخير ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ

[٧٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٣٧

لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦ وقد ذكروا عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال:

رضينا قسمة الرزاق فينا

لنا علم، وللجهال مال

فعز المال يفنى عن قريب

وعز العلم باق لا يزال [٧٦]

تظهر من خلال هذا التحارب أن الله قد اختار القرضاوي للأمر الأهم من كسب المعيشة وهو أن يكون من الرجال الدين الذين يعيشون لأجل الدين إلى موعد النهائي.

مرحلة البحث عن المستقبل العلمي:

بعد نهاية المدرسة الإلزامية، بدأت مرحلة البحث عن المستقبل، كان قلب القرضاوي معلقاً بأمر واحد، ولا يرضى بديلا عنه، وهو الالتحاق بمعهد طنطا الديني، ليكون أحد طلاب الأزهر، وما كان هذا الأمر سهلا أو هيناً، كان الأزهريون لا يجدون عملاً يتعيشون منه فهم يتخرجون من كليات الشريعة أو أصول الدين أو اللغة العربية، و لم يكن تدريس الدين بالتعليم العام إجباريا وكان التعليم العام ذاته محدود الدائرة أيضاً، ذلك أن فرص العمل أمام علماء الأزهر كانت محدودة جداً، فإما أن يعين مدرساً في معاهد الأزهر الدينية، وهذه فيها كفايتها مع ذلك راتبه أقل من خريجي مدارس المعلمين الأولية، الذين يعينون بالمدارس الإلزامية، وإما أن يعين إماما وخطيباً في

[٧٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٣٧، ١٣٩

الأوقاف ولكن كانت المساجد التابعة لها محدودة كذلك، وإما أن يعين واعظاً بالأزهر، و هؤلاء عدد محدود في البلد كله، هذه الصورة المؤنسة البائسة هي التي جعلت عم القرضاوي لا يشجّعه على التقدم إلى الأزهر، لأنه كان يفكر في الطريق المعيشة يكون أقرب وأقصر إلى كسب العيش بسرعة ويريد للقرضاوي مرتباً معقولاً في عمل محترم نظيف. وكان في القرية عدد من الخريجين العاطلين ويظنون الناس كأنما كان غرسهم بلا ثمر. ولكن القرضاوي ما كان مستريحاً لمقترحات عمه وما تتفق واحدة منها مع طبيعته وتطلعاته، ما كان يريد أن يختار حرفة الخياطة، أو عمل كاتب في الدوائر الزراعية وغيره، أو يكون أحد من عمال شركة مصر للغزل والنسج، أو يكون تاجراً أو يكون فلاحاً، هكذا قضى القرضاوي عدة سنوات من حياته في فراغ، وبقي هكذا منتظراً متربصاً، سائلاً الله تعالى أن يختار له الخير، داعياً بما دعا به نبي الله موسى حين آوى إلى الظل في مدين، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[٧٧] وكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٧٨] فإذا أراد الله أمراً هيأ له الأسباب وأزال من طريقة الموانع، يقص القرضاوي قصة اقتناع عمه ليتقدمه إلى الأزهر، بطريقة ممتعة جداً، فقد كان القرضاوي في يوم من أيام الصيف مع عمه وابني عمه في الحقل، وفي وقت القيلولة مرّ شيخ يلبس جبة وعمامة من قرية "الهياتم" المجاورة لقرية صفط، ومال إلى مجلسهم وسأل عنهم لشرب الماء، وبعد شرب الماء قال لعم القرضاوي أنه يريد أن يختبر الشيخ الصغير أي القرضاوي،

[٧٧] القرآن الكريم، سورة القصص، آية ٢٤

[٧٨] القرآن الكريم، سورة النمل، آية ٦٢

فسأله عدة أسئلة من القرآن الكريم من أوائله وأواسطه وأواخره، فوجده يحفظه حفظاً كاملاً، كما رآه يحسن تجويده و تلاوته فقال لعمّه: "يا عم أحمد هذا الولد يجب أن يذهب إلى الأزهر، حرام ألا يتعلم في الأزهر، لما ذا لا تقدم له في الأزهر؟"[٧٩] عندما أخبره عمه عن أسباب عدم تقدمه إلى الأزهر: أي فقر ووجود علماء الأزهر في بلدهم قاعدون بلا عمل، فأقنعه الشيخ بطريقه ممتازة جداً، فجاء بأمثلة من حياة عم القرضاوي كفلاح الذي لا يمتنعه الأحداث عن الزرع وهو يؤدى واجبه والباقى يترك على الله، ويعرف بأن المستقبل بيد الله تعالى، فقال الشيخ لعم القرضاوي فقرة جميلة: "فإذا كنت لا تعرف ما ذا يحدث غداً، لأن المستقبل بيد الله، فكيف تتحكم فيما سيحدث بعد خمسة عشر عاماً تتغير فيها أحوال، وتزول دول، وتقوم دول؟ أدّ الواجب عليك يا عم أحمد، واترك المستقبل لمن يدبّره!" [٨٠]

الطريق إلى الأزهر:

هكذا يسّرالله للقرضاوي الطريق الى الأزهر ولكن ما ذا حدث، أهم أوراق التقديم إلى المعهد كانت شهادة الميلاد، واستخراج رسمي بشهادة الميلاد من مديرية طنطا يستغرق وقتاً طويلاً لأن الإجراءات الروتينية كانت معقدة جداً فضاعت فرصة التقديم لذلك العام، ويشرح القرضاوي هذه الكينية مليئاً بالعاطفة، فيقول:

"و لم يكن للسنين قيمة كبيرة عند الناس. أما عندي، فكانت السنة طويلة طويلة، لأني أنتظر فواتها على أحر من الجمر، كأني أعد أيامها ولياليها. أشبه بأيام الفراق لدى العشاق." [٨١]

---

[٧٩] ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٤٨

[٨٠] المصدر السابق، ص ١٤٩

[٨١] المصدر السابق، ص ١٥٠

على كل حال، إذا مضت السنة جاء القرضاوي بطلب الإنتساب إلى المعهد، قد ملأه بقلمه وخط يده العالم الجليل الشيخ عبد المطلب البتة، الذى قال له أن يكون حنفيا مثله غير مذهب أهل القرية وهو المذهب الشافعي، فصار القرضاوي حنفياً بهذه المصادفة، فقد تمّ امتحان القبول في القرآن شفهيا وفي الحساب والإملاء تحريريا بنجاح.

نبوءة الشيخ خضر أبو شادى و تحقيقها:

عندما ذهب القرضاوي وعمه لإحضار شهادة إدراية، ممضاة من نائب العمدة وشيخ البلد، قد أمضى لهم الشهادة الشيخ خضر أبو شادي، نائب العمدة وقال لعمه: "ياعم أحمد، أنا شايف أن ابن أخيك هذا سيكون له شأن في مديرية الغربية."[٨٢]

وبعد سنوات، والقرضاوي طالب في الثانوي، فكان يخطب في المساجد ويتحدث في المناسبات وقد طفق الناس في القرية وفي طنطا متحدثون عن القرضاوي، قابله الشيخ خضر وقال له:

"لعلك تذكر ما قلته لعمك من قبل: إنه سيكون لك شأن في مديرية الغربية، وأنا الآن أقول: إنه سيكون لك شأن في برّ مصر كله."[٨٣]

وأهم دليل على نجابة وسعادة القرضاوي أن أهل القرية في هذه الفترة كانوا يقدمونه ليؤمهم في الصلوات الجهرية، وخصوصاً صلاة الفجر في رمضان وعلى الأخص في فجر الجمعة، والسبب كما يذكر نفسه:

---

[٨٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٥١

[٨٣] المصدر السابق، ص ١٥١

"كنت في هذا الوقت عميق التأثر بالقرآن الكريم ، شديد التجاوب مع وعده ووعيده، يكاد البكاء يغلبني، وتسبقني الدموع، ويتأثر الناس خلفي بتأثري، ويظهر نحيبهم في الصفوف." [٨٤]

حياته في المعهد الديني بطنطا:

تجهز القرضاوي العدّة للذهاب إلى مدينة طنطا، عاصمة مديرية غربية، حتى وصل إلى بلدة أحلامه، طنطا. بدأ أن يعيش في الحجرة المستأجرة مع ابن عمته وزميله أولاً، ثم انتقل إلى سكن آخر، أفضل بكثير من الحجرة الأولى. حياته في المعهد الديني بطنطا دليل ساطع على أنه رجل قانع وصابر يرضى برضاء الله، والسعادة لهم الذين يرضون بماذا عندهم ولا ينظرون إلى الآخرين خاصة في أمور الدنيا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول القرضاوي:

"كان شعارنا: القناعة كنز لا يفنى. ولم يكن لنا طموحات أو تطلعات تتطلب نفقات إلا فيما نأكل ونشرب."[٨٥]

الشغف وحب الدراسة:

كان القرضاوي حريصاً على طلب العلم كل الحرص، فقضى إجازة من الإدارة لمدة أسبوع كامل بمناسبة مولد "السيد البدوي" في حفظ المتون والكتب المقررة ما يستطيع، فقد اغتنم هذه الفرصة وحفظ متن الأجرومية كما حفظ عدة صفحات من نورالإيضاح في الفقة، أكثر مما حدد له ابن عمته، ومع ذلك كان يذهب للفرجة على مظاهر "المولد" في المدينة، لأنه يحب الوسط والاعتدال في جميع شئون الحياة.

---

[٨٤]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٥٢

[٨٥]المصدر السابق، ص ١٥٧

حادثتان مهمتان في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية:

يذكر القرضاوي حادثتان مهتمان في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية، و يلقى ترتيب ذكرهما ضوء على فكرة القرضاوي، فإنه فوّق ذكر الاستماع إلى الشيخ البنا على ذكر وفات والدته الحبيبة والحنونة:

الاستماع إلى الشيخ حسن البنا:

قد احتفلت جمعية الإخوان المسلمين في طنطا بمناسبة الهجرة النبوية في أوائل المحرم، وذهب القرضاوي إلى شعبة الإخوان قرب ميدان الساعة مع ابن عمته، لأنه على الرغم صغر سنه كان حريصاً على الاستماع إلى الشيخ البناء، فقد سمع حديثاً جديداً أصيلاً، ولقد وعيه وهضمه ويكاد يحفظ كلامه كله لشدة وضوحه وتركيزه وبلاغته، فعجب به ابن عمته وزملاءه عندما سرد عليهم القرضاوي ماذا قال الشيخ مفصلاً، أصبح القرضاوي منذ ذلك الليلة حريصاً كل الحرص على الاستماع إلى الشيخ البناء، كلما جاء إلى طنطا في مناسبة من مناسبات، فقد تأثر القرضاوي بالإخوان المسلمين في هذه المرحلة من عمره تأثرا عميقاً ولكنه لم ينضم إليهم، ربما لأنه لم يعرف الطريق إلى ذلك و لم يجد أحد من يدعوه ويلحقه بركب الجماعة.

وفاة والدة القرضاوي:

والحادث الثاني المؤلم في حياة القرضاوي، في السنة الأولى: هو مرض والدته ووفاتها، لقد أصابها بحمى شديدة الزمتها الفراش، وغالباً قد أحست بدنو أجلها، فطلبت أن تراه، فذهب القرضاوي في نهاية إجازة الأسبوع إلى البلدة، يرسم القرضاوي هذا اللقاء الأخير معها بطريق مؤثر لابد من تسيل الدموع عندما نقرأ العبارة:

"رأيتها وعانقتني طويلاً، وهي على فراشها، ودعت لي من أعماقها، وهي تذرف دموعها، وكان لها دعوات تحفظها وتخصني بها دائماً: ربنا يحبب فيك الرب في عرشه، والجندي في فرشه، ويجعل في وشك (وجهك) جوهرة، وفي حنكك (فمك) سكرة، ويحبب فيك الحصى في الأراضي، ويجعل لك في كل سكة سلامة، وفي الواقع كلما لاحظت حب الناس لي، وقولهم في كل مكان: نحبك في الله! أقول: هذا من بركات دعاء أمي."[٨٦]

ودّع أمه ورجع إلى طنطا، على أن يعود إليها في نهاية الأسبوع القادم، ولكن لم يشأ القدر أن تستكمل الأسبوع، وفي ضحى يوم من الأيام، وكان القرضاوي في درس النحو، وصله خبر ارتحال أمه إلى جوار رحمة الله تعالى سبحانه، قد تأثر القرضاوي بهذه الصدمة الكبيرة ولكن ساعدته فطرته الإيجابية أن يتحمل هذا البلاء العظيم حيث يقول:

"كانت وفاة أمي صدمة كبيرة لي، فقد حرمت من أبي وأنا في الثانية من عمري، فوجدت في حنان أمي وحبها وحرارة عاطفتها ما عوضني بعض الشيء عن أبي، وإن كانت الأم لا تملأ مكان الأب بحال، اليوم فقدت أمي بعد أبي، وعليّ أن أواجه الحياة وحدي بنعمائها وبأسائها، بوردها وشوكها، وقد عوضني الله عن حنان أمي بحنان جدتي -أم أمي- وخالاتي الأربع، فكن لي أمهات بعد أمي، ولا سيما خالتي "أم عبده" التي كانت تعيش في طنطا وترعى شئوني."[٨٧]

---

[٨٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٦١

[٨٧] المصدر السابق، ص ١٦٢

هنا نرى مماثلة في حياة القرضاوي مع حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو حرم من أبيه قبل ولادته وتوفيت والدته في طفولته، وهو وليد واحد لوالديه حتى أخذ الله خليلاً وما تركه وحده كما ورد في القرآن الكريم:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[٨٨]

هكذا هذا الأمتي قد حرم في بداية طفوليته من أبيه وهو لايتذكر أي صورة له، ثم حرم من أمه في طفولته المتأخرة وهو أيضاً وليد واحد لوالديه. فقد منّ الله عليه أن يرزقه تفوقاً في مجال الدراسة لمداراته ولتسليته، وكان ترتيبه الأول بين أبناء دفعته في امتحان الفصل الأول على الرغم من صدمة افتراق أمه.

فرصة القراءة المنظمة في الأدب العربي:

ثبت السنة الثانية من المعهد الابتدائي نقطة إنعطاف في حياة القرضاوي لأنه هو أصبح يملك نفسه، فإن ابن عمته قد قدم إلى مدرسة الصيارفة التي فتحت أبوابها لأبناء الأزهر، ممن أكملوا السنة الثالثة الثانوية. كان القرضاوي يحتاج إلى شراء الكتب المقررة وكانت أثمانها غالية له فلهذا حاول أن يشترى الكتب المستعملة، كما حاول أن يشترى بعض كتب الحواشي الصفراء مثل حاشية السجاعى على قطر الندى، وحاشية الأمير على شذورالذهب، وحاشية الخضري على ابن عقيل وغيرها لأنها هي رخيصة الثمن عادة، وفيها علم غزير. قد بدأ القرضاوي ينظم القراءة في

[٨٨] القرآن الكريم، سورة الضحى، آية ٣ إلى ٥

غير الكتب المقررة فكان عنده وسيلتان لذلك: وسيلة دارالكتب بطنطا ومكتبة "فك الأزمة" في شارع درب الأثر بطنطا. قد قرأ القرضاوي في دارالكتب بطنطا، كتب الأديب الشهير مصطفي لطفي المنفلوطي نحو"النظرات" بأجزائه الثلاثة والقصص التي ترجمها بأسلوبه الخاص، مثل "العبرات" و"ماجدولين" و"في سبيل التاج" و"الشاعر" و"الفضيلة" وغيرها كما قرأ "وحي القلم" و"أوراق الورد" و"المساكين" وغيرها لمصطفي صادق الرافعي، وكان يقرأ أحيانا لطه حسين والعقاد وأحمد أمين والزيات وغيرهم من الكتاب مجلتي "الرسالة" و"الثقافة" الشهيرتين في ذلك الوقت، وقد استفاد القرضاوي من مكتبه "فك الأزمة" بطريق استئجار كتب معينة لقراءتها في أيام معدودة وردّها إلى المكتبة.

الخطوات الأولى في نظم الشعر:

في هذه السنة قد بدأ القرضاوي يخطو الخطوات الأولى في نظم الشعر وأول أبيات التي نظمها كان موضوعها "صفارة الإنذار"، فقد كان الزمن زمن حرب وكانت صفارة الإنذار تعمل، ويسمع الناس أصواتها، فيطفئون الأنوار بالليل. ومما يذكره أنه لم يقل بيتاً مكسوراً قط، برغم أنه لم يدرس العروض إلا في السنة الأولى الثانوية، ولكن بالسليقة والفطرة، وقد كان ما نظم في هذه السنة قليلاً ثم طفق يكثر ويتسع في السنة التي بعدها ولاسيما في السنة الرابعة.

إن مع العسر يسراً:

كانت الحياة قد بدأت تغلو قليلاً قليلاً لأجل الحرب العالمية الثانية التي أعلنت منذ سنة ألف تسعمائة واحد وثلاثين ميلادية، وبدأ الناس يشكون من زحف الغلاء سنة بعد أخرى، وكان للقرضاوي امتحانا عسيرا ولكن لله ألطافا وأسرارا لا يعرفها إلا من عايشها، فلهذا كان من

اللطف الإلهي أن نودي عليه أن له مكافأة (ثلاثة جنيهات مصرية)، "جراية المنشاوي" في الإدارة، هي مكافأة "الأولية" في الترتيب، وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت كبيراً ومجزيا. كان المنشاوى من أحد أثرياء الغربية الذين وقفوا أموالهم على الخير. هنا يعلق القرضاوي تعليقاً مهماً، حيث يقول:

"كان هذا من حسنات عدد من باشوات عهد الملكية، على خلاف الباشوات الجدد(باشوات الثورة) الذين جمعوا الملايين، ولا يجودون بالملاليم!" [٨٩]

و ظلت هذه الجنيهات الثلاثة مصدراً ثابتاً له، حتى في بعض السنوات التي لم يكن ترتيب القرضاوي بها الأول، لم يحرم منها، فقد كانت تعطى للثلاثة الأوائل.

دروس في الأدب والتربية والسلوك:

في السنة الثانية من المعهد الابتدائى، قد تعرف القرضاوي على أستاذ جليل الشيخ الداعية المربى هو على البهي الخولي، خريج دارالعلوم. حوّل الأستاذ البهي الخولي حصة الراحة إلى حصة محفوظات حقيقية، وكان يختار لهم قطعة من الشعر أوالنثر في كل أسبوع ليحفظوها، ويسوقهم بالترغيب والترهيب لحفظها. فقد حفظوا قطعات أدبيه رائعة من منتخبات الأدباء الممتازين نحو مطفى لطفي المنفلوطي وحافظ إبراهيم وغير هؤلاء. وكانت دروس المحفوظات دروساً في الأدب والتربية والسلوك.

[٨٩]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٦٥

الارتقاء في مجال العلم على يد محمد السيد الوزير:

في نفس السنة، تعرف القرضاوي على محمد السيد الوزير، من شبشير الحصة، يسكن في طنطا. كان شابا ذكيا نابها وكان يهتم بالردعلى النصارى، ويجمع الكتب التي ترد على المبشرين هكذا كان يتتبع جماعة "البهائية"، ويهتم بجمع كتبهم والكتب في الرد على البهائية. قد تأثر القرضاوي بشخصية محمد السيد الوزير تاثراً عميقاً وتعجب كيف اختفى محمد الوزير وما ظهر له أي أثر يذكر في مجال الأدب والفكر، مع أن لديه كمّا هائلا من الشعر، ومن المواهب والقدرات ما يرشحه لأن يكون له مكان مرموق، ولكنه لم يأخذ حقه في البروز والظهور.

يفكر القرضاوي بمناسبة محمد الوزير وأمثاله من النوابغ، الذين لم يأخذوا حقهم في البروز والظهور، بأن ما هو العنصر الأول المؤثر في سلوك الإنسان وتحديد مستقبله؟ هل العقل أو الذكاء؟ أو هناك شيء آخر وهو الإرادة؟ فالإنسان يحقق طموحاته وأهدافه لا بالعقل وحده، بل بالإرادة أيضاً، وكم من الناس في غاية الذكاء ضاعوا في الحياة، ولم ينفعهم ذكاؤهم، لأنهم فقدوا الإرادة التي تحفزهم على طلب المعالي ومعاناة التعب.

يعتقد القرضاوي بأن الإرادة عنصر ضروري إلى جوار عنصر الذكاء، بل ربما كان أهم منه. وإنما تنبثق الإرادة من الإيمان والأخلاق التي يلتزم بها الإنسان. وهناك عنصر فوق ذلك كله، وقبل ذلك كله، وهو "القدر" الذي يهيمن على الكون كله، كما يقولون: العبد يدبر، والرب يقدر، وإذا فقد القدر عمي البصر. ومع ذلك يرفض القرضاوي كل الفلسفات الجبرية كل رفض سواء كانت جبرية دينية أو جبرية اجتماعية أو جبرية سياسية، لأن الإنسان مكلف حر ومختار ملّكه الله مصير نفسه، ولكن لله نفحات يختص بها من يشاء فضلا منه وكرما، وهي من شأن

الألوهية التي لاتسأل عما تفعل. على كل حال، قد وفق الله القرضاوي بترتيبه الأول على الدفعة في السنة الثانية أيضاً.

إلقاء الدرس الديني الأول في قريته:

وقد حدث للقرضاوي في إجازة صيفية حادثة مهمة، بل في غاية الأهمية في حياته، وهو إلقاء الدرس الديني الأول على الناس في مسجد جامع في شهر رمضان، لأن أصر بعض كبار الحاضرين لإلقاء الدرس في غيابة الشيخ عبدالمطلب البتة. وقد كان أثر هذا الدرس حول "التوبة من المعاصي" طيباً جداً، وهنأ القرضاوي عليه كل من حضره، وبلغ ذلك الشيخ البتة فشجعه على ذلك أيضاً ثم أصبحت هذه عادة، كلما تأخر الشيخ عبد المطلب عن الحضور، قدم أهل القرية القرضاوي ليحل محله.

بعض الوقائع المهمة في حياة القرضاوي:

درس القرضاوي في السنة الرابعة الابتدائية، التي تتم بها هذه المرحلة ليتهيأ الطالب للقسم الثانوي، الرياضيات والهندسة والجبر، من الشيخ عبدالوهاب غانم، النابغة في الرياضيات، ودرسهم علم الجغرافيا الأستاذ البهي الخولي، وكان شديداً في المحاسبة على ما يكلف الطلاب به، والقرضاوي لم يحسن في رسم الخرائط وما كان يحسن حفظه نحو أسماء البلدان والمواقع وغيرها. حدثت عدة أحداث مهمة في هذه السنة. أولا: انتماء القرضاوي إلى الإخوان المسلمين. قد القى القرضاوي قصيدة في افتتاح الموسم الثقافي بدار الإخوان وملأ استمارة الإنضمام، وأصبح من ذلك الوقت عضواً رسمياً في الإخوان. وفي هذه السنة خطب القرضاوي أول خطبة منبرية في حياته، كان موضوع هذه خطبة الجمعة "الشكر لله" وقد لاقت قبولاً حسناً من الناس.

وحدث في هذه السنة حادثة تكسير المعهد، قام له طلاب المعهد الديني الثانوي، انتقاماً من الإدارة الجديدة المفروضة على معهد طنطا وغيره من المعاهد تتمثل حكومة الوفد في تعيين شيوخ للمعاهد، وقد رفض الطلاب ذلك. وبعد سكوت مدة دبّروا أمر تكسير المعهد وترتب على ذلك اعتقال عدد من طلاب القسم الثانوي، ودخولهم السجن، كما صدر أمر بتعطيل الدراسة، حتى تستقر الأمور. ويعلق القرضاوي على هذه الحادثة:

"ولا غرو أن الطلبة عندما ضيق عليهم الخناق، وحرموا التعبير عن أنفسهم، واشتعلت مشاعر الغضب في صدورهم، وغلا المرجل واشتد غليانه، ولم يسمح له بأدنى درجات التنفيس، كان لابد لهذا المرجل أن ينفجر... ولكن يبقى أن مثل هذا العمل لا ينبغي أن يلجأ إليه الطلبة العقلاء الذين يقودون الرأي العام ويحركونه، ولا يجوز الانتقام من المؤسسة التي نتعلم فيها، ونخرب مرافقها، كما لا يليق بالزعماء والقادة الكبار أن يستغلوا حماسة الطلاب، وحرارة الشباب، لتحريكهم وجرهم إلى أهداف حزبية، ومصالح سياسة خاصة، بغض النظر عن مصلحة الأمة الكبرى." [٩٠]

ومن الوقائع التي لا ينساها القرضاوي هو ما حدث لهم من نفاد الزاد ونفاد النقود كليهما وكانت إجازة العيد بعد أيام، ولم يبق معهم كلهم (أي مجموعة الطلاب أو الزملاء) إلا "الفرافيت". ويقول القرضاوي:

---

[٩٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٨١

"قررنا جميعاً أن نقنع بهذه الفرافيت مع الملح أو (الدقّة) كما يقول المصريون. وكنا نأكل هذه الفرافيت بالملح، ونحن في غاية الرضا عن حياتنا وأنفسنا، دون سخط ولا تبرم. وهذا ما فهمناه من الحديث الشريف "ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس." [٩١]

الأحداث السياسية في تلك الآونة:

ذكر القرضاوي بعض الأحداث السياسية في تلك الآونة: نحو قتل رئيس الحكومة أحمد ماهر باشا بيد شاب محام إسمه محمود العيسوي، وتولية محمود فهمى النقراشى باشا، الذى كان له دورسلبي خطير في القضية الوطنية، وفي مقاومة طلاب الجامعة وفتح "كوبري عباس " عليهم، وفي القضية الفلسطينية وكذلك كان له دوره الخطير في إنهاء "الوجود الرسمي" والعلني للأخوان المسلمين وإصدار الأمر العسكري بحلهم و تصفيتهم، استجابة لطلبات بريطانيا وفرنسا وأمريكا.

تقييم الدراسة في المرحلة الابتدائية:

في نهاية تذكرة المرحلة الإبتدائية قام القرضاوي بتقييم الدراسة في هذه المرحلة، ولاحظ على مناهج المرحلة الابتدائية:

أولاً: عدم اهتمام بتعليم أي لغة أجنبية كالإنجليزية مع الحاجة إليها.

ثانياً: لم تهتم بإعطاء قدر من العلوم في الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء، ولو أنها اهتمت بالجغرافيا والتاريخ والحساب والرياضيات.

ثالثاً: مع أنها اهتمت بالنحو والصرف اهتماماً بالغاً- أي تدريسهما- في أربع سنوات كلها، لم تفد الكثير من الطلاب في التطبيق.

---

[٩١] المصدر السابق، ص ١٨٢

رابعاً: لم تعط المناهج أي عناية للأدب العربي ولا للقراءة المنظمة التي يمكن أن يمتحن فيها.

خامساً: لم يكن للمحفوظات وللنصوص منهج معلوم، ولا برنامج مرسوم، إنما تترك كاملاً للأستاذ يختار ما يشاء وكان الامتحان فيها شفهيا، وبعض الطلاب كانوا يرددون نفس الأبيات كل سنة ولا يزيدون عليها.

ثم يشير إلى قصور المناهج في العلوم الدينية ذاتها، هي روح الأزهر، ومحور وجوده مثل علم الفقه، والتوحيد، فيقول:

"لم نكن ندرس من علوم الدين في المعهد غير الفقه والتوحيد، والفقه يدرس على الطريقة المذهبية بعيداً عن الاستدلال بالقرآن والسنة، وعن مقاصد الشريعة، وعن واقع الحياة. كما يدرس التوحيد على طريقة الأشعرية المتأخرين، وفيه نفس فلسفي وجدلي، لا ينشئ عقيدة ولا ينميها ولا يثبتها. ولم نكن ندرس في هذه المرحلة حديثا ولا تفسيرا، ولو بصورة ميسرة تناسب الطالب في هذه المرحلة من طلب العلم." [٩٢]

الملاحظات العامة ورأيي في شخصية القرضاوي

(من خلال فترة الطفولة والصبا)

كانت البيئة- التي عاش القرضاوي فيها- بيئة دينية، فنرى أفكاره متصلة بالدين منذ البداية. وشعار معظم الناس حوله كانت القناعة، والصبر، والجهد، والتعب في كسب المعاش، والأخوة، والاحترام للآخرين، والتعاون على البر وما إلى ذلك. فقد نشأ القرضاوي على حب الدين.

---

[٩٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ١٨٧

كتب الله له أن يكون وحيداً في بداية حياته وعلى الرغم من ذلك أنبته الله نباتاً حسناً وجعله صاحب الأفكار الإيجابية، ومتمسكاً بالرأي الوسط في جميع شئون الحياة. تعلم من الأساتذة الكبار في الكتاب والمدارس الأخرى ونرى تأثيرهم الإيجابي في تكوين شخصيته، وهو تعلم من أخطاء الآخرين أيضاً. ذاق القرضاوي طعم الفقر والثروة معاً، وساعده ذلك الطعم على تكوين الرأي الوسط في الفتاوى إذ جرب نفسه الفقر والثروة، فهو لا يغفل عن مشاكل الذين حل بهم الفقر، ولا يعدو على أصحاب الثروة.

إن طبيعة القرضاوي مائلة إلى اليسر وتكره العسر، وهنا نرى التطابق بين رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأي القرضاوي، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب اليسر ويكره العسر، وقال:

"يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٩٣]

لا أرى أي شعور بالترحم النفسي في شخصية القرضاوي على الرغم من حرمانه من والديه في بداية حياته، فهو رجل صابر، وشاكر، وقانع على ما أنعم الله عليه. وهو حريص على طلب العلم كل الحرص، واجتهد كل اجتهاد في طريق العلم. يحب القرضاوي أن يكون متفوقاً في كل مجال. وهذه فكرة طيبة أن يجتهد الانسان ويعمل كل شيء بإحسان لكي يصل إلى الدرجة العليا ونحن نسأل الله تعالى أن يكرمنا بجنة الفردوس، وهي الدرجة العليا ليست الجنة فقط.

[٩٣] الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة

يحب القرضاوي أن يثنى عليه، ويكره أن يظلم أو يظلم عليه، وهذه فطرة إنسانية. لم يشر القرضاوي إلى أخطائه والسبب في أنه لم يذكر أي أخطاء لأن إخفاء الأخطاء والعيوب محمود إذا أمكن، وليس من المناسب إظهارها بدون فائدة.

الفصل الثاني

دراسة موضوعية لشباب الدكتور القرضاوي من خلال سيرته الذاتية

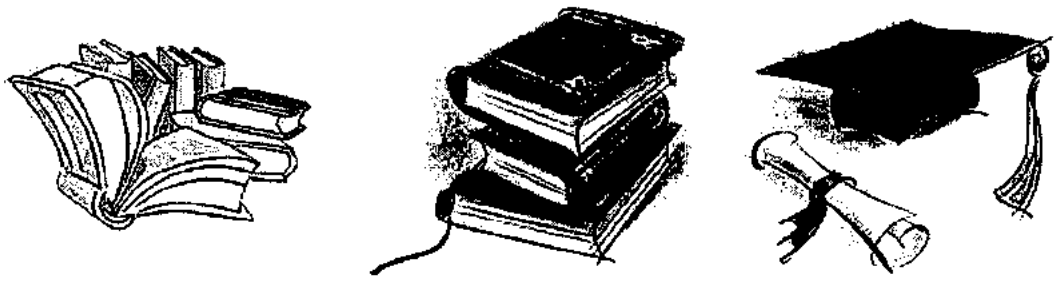

الفصل الثاني

دراسة موضوعية لشباب الدكتور يوسف القرضاوي

أهمية مرحلة الشباب:

تعتبر مرحلة الشباب بمثابة مركز القوة والنشاط في حياة الإنسان، ففي هذه الفترة يكون الشباب كالزهرة التي تفتحت بعد مدة من الغموض، فأشرقت على الدنيا بوجهها الباسم وروحها المفعمة بالحيوية والنشاط. مرحلة الشباب هي تلك المرحلة المهمة التي يبدأ فيها النضج الفكري والجسدي تقريباً منذ سن الخامسة عشرة وما بعدها، والشباب فترة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[٩٤]

ومن أهمية الشباب: أن الطفولة مرحلة ضعف بلا حكمة، والكهولة مرحلة حكمة بلا قوة، أما الشباب فهي مرحلة قوة وحكمة، فلابد أن نسلم بأن الإنسان من خلال مراحل حياته المختلفة ليس على نسق واحد في مقدرته على التحدي، وهو لا يملك نفس المستوى من الاستعداد والقدرة على اقتلاع السلبيات العالقة به، وكذلك هو لا يمتلك نفس القابلية على التغير، فلا ريب أن هناك فروقاً واضحة بين نفسيه الشاب ونفسيه المسن. من هنا تظهرلنا أهمية مرحلة الشباب في صياغة شخصية الإنسان.

---

[٩٤] القرآن الكريم، سورة الروم، آية ٥٤

تحتوي دراسة هذه المرحلة المهمة من حياة الدكتور يوسف القرضاوي على الأيام من بداية المرحلة الثانوية إلى انتهاء الدراسة الجامعية في كلية أصول الدين.

المرحلة الثانوية في المعهد الديني الثانوي:

بعد الحصول على الشهادة الابتدائية تأهل القرضاوي عقلياً ونفسياً لدخول المرحلة الثانوية بالمعهد، وكان مقره بجوار محطة سكة حديد طنطا، الذي بني أساساً ليكون معهدا، بخلاف المعهد الابتدائي، فإنه مبنى مستأجر، وذلك حين بلغ القرضاوي الثامنة عشرة_ فترة الشباب_ وهي أهم مرحلة في الحياة وأقواها. "والشاب في هذه المرحلة يرى الأشياء جميلة، والأفق واسعاً مليئاً بكل ما يستهويه ويرتضيه، ويصبح غارقاً بالأمل والأمنيات، ويكون قلبه طافحا بالحب والأمل."[٩٥]

عهد الحرية والتمكين للأزهريين:

قد تغير الحكم في مصر في المرحلة الثانوية بذهاب حكومة الوفد الذي عادت الأزهريين أو العكس، وأيضاً تغيرت مشيخة المعهد وإدارته، ويمكننا أن ندرك مدى فرحة الطلاب بأنهم أقاموا للشيخ احتفالاً وقوفاً في ساحة المعهد (أي بغير كراسي). فرحب الطلاب بعهد الحرية والتمكين لهم، الذي لم يعد فيه الطلاب يتجسسون على بعض، أو يكيد بعضهم لبعض، كما في العهد السابق، الذي عدوه عهد الاضطهاد والاستضعاف لهم.

أحب الأصدقاء إلى القرضاوي:

في المرحلة الثانوية، تعرف القرضاوي على محمد الدمرداش مراد، الذي أصبح أقرب الأصدقاء إلى القرضاوي بل ملازماً له. كان الدمرداش رحمه الله سليم الفطرة، معجباً بكل ذى موهبة أصيلة، وكان يحب أن يكون مثله أو يقتبس منه بعض الأخلاق على الأقل. فلهذا أعجب بالقرضاوي إعجابا بالغا، عندما رأه يتكلم في موضوع معين، طرحه الأستاذ، دون أي إعداد سابق، فسأله بأنه كيف يستطيع أن يأتي بهذه الجمل البليغة بلا تحضير؟ فأجابه القرضاوي بأنها ليس من الأمور

---

[٩٥]"أهمية الشباب ودورهم في المجتمع"، عفان أفضل ولي الدين، الشبكة الدولية

المستحيلة، وهذه نتيجة محصول من القراءات الأدبية، لأن العلم بالتعلم.كان القرضاوي وحيد أبويه، ثم حرم منهما في أوائل عمره، ومن فضل الله عليه أنه وجد صديقاً ناصحاً مثل محمد الدمرداش.

أول عمل أدبي في مجال المسرحية:

أول عمل أدبي منظم للقرضاوي كان مسرحية شعرية سماها "يوسف الصديق"، وكانت هذه المسرحية الشعرية نتيجة لقراءة مسرحيتين لأحمد شوقي، وهما: "مصرع كليوباترا" و"مجنون ليلى"، وقد شرع القرضاوي في كتابتها وهو في السنة الرابعة الابتدائية، وأكملها وكان في السنة الأولى الثانوية، ومن المفارقات أن الموضوع هو " يوسف الصديق"، والمؤلف هو يوسف القرضاوي، وصاحب المطبعة كان يوسف أيضاً؛ فالمطبعة هي المطبعة اليوسفية أيضاً.

كانت هذه المسرحية تمثل نموذجاً من شعر الشباب فأثنت بعض المجلات الأدبية على المسرحية، وهذا الثناء شجعه فعمل عملاً مسرحياً آخر هو "عالم وطاغية " مسرحية تاريخية تجسد طغيان الحجاج بن يوسف وموقف العلماء منه ممثلاً في واحد منهم هو العالم الفقيه الباسل سعيد بن جبير، وقد مثلت في أكثر من بلد، ولقيت قبولا بين المتفرجين.

شيوخ القرضاوي في المرحلة الثانوية:

كان معظم أساتذته في المرحلة الثانوية رجالا فضلاء طيبين تقليديين، لم يستطع أكثرهم أن يترك في نفسه أثرا ملموسا، أوموقفا علميا أو عمليا يذكر به فلا غرو أنه نسي أسماءهم إلا القليل.

وقد كان كثير من هؤلاء الأساتذه، رحمهم الله الجميع وغفرلهم، يصرح بأن أكثرهمه هوالراتب، ويعد القرضاوي هذه الروح المادية والنفعية من آفات التعليم الحديث، حيث أصبح أستاذ الأزهر يعمل بروح الموظف، الذي ينتظر الراتب ويعمل بقدره، لا بروح صاحب الدعوة، الذي يحتسب عمله لله، ويرى أنه عبادة وجهاد في سبيل الله، وهوينتظر الأجر من الله تعالى.

الأحلام غير المحققة:

يتمنى الإنسان ولكن لا يمكن أن يتحقق كل ما يريد ويحلم به، هكذا نرى لون التمنى غير محققة في حياة القرضاوي عندما يظهر لنا ما كان في أعماق قلبه من خلال دراسته. يذكر لنا القرضاوي بأنه كان يتمنى أن يكون تلميذاً لبعض شيوخ المعهد في طنطا، المبرزين في علمهم وطريقة تدريسهم، ممن كانت لهم شهرة واسعة وسمعة حسنة بين طلابهم، ولكنه لم يحظ بذلك، ومن هؤلاء الشيخ عبد الباسط سليم، الذي كان يدرس الفقه الحنفي بطريقة حية وممتعة حتى أحب الطلاب الفقه على جفافة، ومن هؤلاء الشيخ فوزي خشبة مدرس الأدب العربي، ذو التأثير القوي في طلابه، وذو عبارات ساخرة يحفظها الطلاب، وكان رجلاً جاداً مهيباً وفي نفس الوقت لطيفاً ودمثاً.

ومن الطرائف التي يذكرها القرضاوي، أن جاءهم أحد المشايخ، وكان شيخا ظريفا صاحب نكته، فأراد ان يتسلى مع الطلاب، فطالب الجميع أن يذكروا أمنيتهم في حياتهم وماذا يريدون أن يكونوا في مستقبل أيامهم؟ وطفق الطلبة يذكر كل منهم ما يريد أن يكون في مستقبل حياته، فعلق الشيخ الساخر على طريقته على جميع الطلاب، وعندما جاء دور القرضاوي قال للشيخ إنه يريد أن يكون شيخا للأزهر. ولم يعلق الشيخ أي تعليق ساخر رغم غرابة الأمنية بل شجعه بطريقة جميلة؛ فقال:

"لاتستبعدوا هذا يا أولاد. فكم من أمل كبير قد تحقق، وكم من حلم بعيد أصبح حقيقة. وفي التاريخ وفي الواقع أمثلة كثيرة لأناس حلموا أحلاما ظنها الناس من شطحات الخيال، أو من توقعات المحال، اجتهد أصحابها وجاهدوا حتى وصلوا إليها" [٩٦]

وبعد سنوات عديدة سأل عبدالعزيز السيد المذيع بتلفزيون دولة قطر عن هذه الأمنية أهي باقية إلى الآن أم لا؟ فأجابه القرضاوي بأن كل ميسر لما خلق له، والقرضاوي في الخامسة والسبعين من عمره، يعرف حقاً أن شيخاً للأزهر لم يعد وحده قادرا على تحقيق ما يريده من إصلاح وتجديد حتى تسانده الدولة، ولابد لتولية هذه المناصب: الخضوع لسياسة الدولة؛ فلا مجال للمتولي إلا أن

---

[٩٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢١١

ينطق بباطل أو أن يسكت عن حق وإلا كان في صراع معها. فلهذا لم يرد القرضاوي أن يكون في هذا المنصب. وقد علق الدكتور أحمد العسال رحمه الله تعالى (الرئيس السابق للجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد) على هذه الرغبة، فقال للقرضاوي:

"أردت شيئا وأراد الله لك شيئا آخر أفضل مما أردت. فقد أردت أن تكون شيخاً للأزهر، وأراد الله لك أن تكون شيخاً للأمة بأسرها، وهناك فرق بين المنصبين:

- فشيخ الأزهر يختاره الحاكم سواء وافق اختياره اختيارالناس أم لا، أما شيخ الأمة فتختاره الأمة عن حب وطواعية.
- وشيخ الأزهر يملك الحاكم عزله، ولكنه لا يملك أن يعزل شيخ الأمة، لأنه لم ينصبه هو إنما نصبته الأمة" [٩٧]

وهذا التكريم عند الناس، وحبهم للقرضاوي يذكرنا بدعوات أمه الحنينة التي تركته وحيداً في أوائل عمره ولكن تقبله الله بقبول حسن وأنبته نباتا حسنا حتى نعجب كيف ارتفع إلى هذا الحد الذي فقد أبواه في طفولته، فوجه الحياة وحده بنعمائها وبأسائها، بوردها وشوكها.

أسفار مجانية:

بين الحين والآخر كانت تسنح لطلاب المعهد فرصة السفر إلى القاهرة وإلى الإسكندرية مجانا في مناسبات ملكية معينة، كأنها هي حق مكتسب لهم، والإنسان يتعلم من الأسفار كثيراً؛ فلهذا قال الله تعالى في القرآن الكريم أكثر من مرة، "﴿ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾" [٩٨]، والقرضاوي طالب متحمس للتعلم من كل ما حوله، قد تعلم في هذا الأسفار المجانية كثيراً، وسافر القرضاوي إلى القاهرة أكثر من مرة، وكان ينتهز فرصة هذا السفر، ليزور المركز العام للإخوان ولقاء الأستاذ البنا. سافر مرة إلى القاهرة بمناسبة وفاة شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبدالرزاق، وكان القرضاوي

---

[٩٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢١١

[٩٨] القرآن الكريم، سورة آل عمران(١٣٧)سورة الأنعام(١١)، سورة النحل(٣٦)، سورة النمل(٦٩)، سورة العنكبوت(٢٠)، سورةالروم(٤٢)

ممن اختيروا من طلاب الكليات الكثيرين ليتكلم باسمهم؛ فوفقه الله لإلقاء كلمة مركزة نالت استحسان الحاضرين، وزادت هذه الفرصة من همته التي لا يتعرض لها الملل.

زعامة المعهد ودورها في قضايا الأمة المسلمة:

منذ بزوغ شعاع الحضارة البشرية نرى أحداثاً وتحولات في التجمعات البشرية، والطلبة يكونون فيها المحور الرئيس والبارز، وهم يعتبرون المصدر الأساسي لنهضة أي أمة والذراع الواقي الذي تعتمد عليها في الدفاع عن كيانها وفي تحقيق أهدافها، أو بعبارة أخرى هم بمثابة عصب الأمة ورأسمالها وسلاحها في معركة التقدم والتطور نحو المستقبل، يعترف القرضاوي بأهمية الطلاب في أوقات الأزمات التي تحيط بالوطن، ويرى أنهم يقودون الرأي العام الوطني، في مواجهة الاستعمار؛ لأن هذه الأسباب الثلاثة تتوافر في الطلبة دون غيرهم:

"الأول: إن الطلبة شباب، والشباب يتميزون بالمشاعر الثورية، والعزائم الفتية، والنفوس الأبية.

والثاني: إنهم -لأنهم على حظ من التعليم- أكثر وعياً بقضايا وطنهم وأمتهم.

والثالث: إنهم مجتمعون في مكان واحد، وتجمعهم يمنحهم قوة وقدرة على الحركة والتأثير.

ولكن جماهير الطلبة إنما تحركهم في العادة الزعامات الطلابية القادرة على مخاطبة "العقل الجمعي" للطلاب، وإثارة مشاعرهم، وتنبيههم إذا غفلوا، وتحريكهم إذا سكنوا."[٩٩]

وكان المعهد الديني فى طنطا المؤسسة الطلابية الأولى، التي يتحرك طلابها في كل قضايا الأمة، وتنافسها في ذلك مدرسة طنطا الثانوية بنين، والجدير بالذكر أن الزعامة الطلابية تنبع من الطلبة أنفسهم، ولا يستطيع أحد أن يفرض عليهم زعامة لا يريدونها، وقد كان من فضل الله على القرضاوي أن رشحه طلاب المعهد بكامل حريتهم وإرادتهم لقيادتهم ليكون المعبر عن تمنياتهم وقد أتاه الله القدرة على خطاب الجماهير وتحريكهم بمثيرات الشعر والنثر ما يؤهله لذلك، وقد استمر ذلك طوال السنتين الثالثة والرابعة، وجزء من السنة الخامسة الثانوية حتى بداية اعتقال الإخوان منذ ديسمبر سنه ١٩٤٨م. وعادة كانت القيادة محبوبة عند الطلاب، ومحترمة لدي المشايخ، لتفوقها في مجالات العلم والسلوك باعتراف الجميع، وكان زملاء القرضاوي في المعهد يعدونه مرجعا لهم،

[٩٩] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢١٨

يحتكمون إليه إذا اختلفوا في مسألة علمية ولاسيما في علوم العربية: نحوها وصرفها، وكانوا يثقون مطلقاً بما يقوله القرضاوي حتى تمثل أحدهم بقول الشاعر:

"إذا قالت حذام فصد قولها فإن القول ما قالت حذام" [١٠٠]

ولقد قام المعهد بدوره الذهبي والمجيد في القضايا الوطنية والعربية والإسلامية، وخصوصاً قضية وادي النيل وقضية فلسطين. وألخص الأمور التي شغلت تفكير طلاب المرحلة الثانوية في المعاهد الدينية، حتى عقدوا المؤتمرات وأرسلوا المطالب إلى مشيخة الأزهر وأعلنوا أمام إخوانهم الطلاب أمرين هما:

أولا: مطالب شباب الأزهر في التطوير والإصلاح.

ثانياً: النهوض بمستقل الأزهر.

مناهج المرحلة الثانوية: نظرة نقدية:

وقف القرضاوي وقفته النقدية لمناهج المرحلة الثانوية، وأحاول في الأسطر التالية أن ألخص ماذا يعلق القرضاوي على هذه المناهج بعد تأمله وتجربته الذاتية، فنرى المناهج متناوبةً.

علم الفقه:

الكتب المختارة في سائرالمذاهب، كانت الكتب لعصر مضى و لم يكتب لعصر القرضاوي ولعلاج مشكلات عصره، وهناك عيب التقليد المطلق للمذهب ولوظهر ضعف دليله، كانوا يدرسون الفقه كله من ألفه إلى يائه، أي من كتاب الطهارة إلى كتاب الفرائض، ولكنه كان فقه نظري محض، يعيش في صفحات الكتاب ولا يحيا في واقع الحياة، أو بعبارة أخرى ما وجدوا حل مشكلات عصرهم في كتاب البيوع والمعاملات حتى في العبادات ما كانوا يعرفون شيئاً عن الزكاة في الشركات أو المصانع أو العمارات السكنية، أو غيرذلك من الأموال النامية المستحدثة.

علم التوحيد:

كانوا يدرسون التوحيد في السنتين الرابعة والخامسة في شرح الجوهرة للقاني، وهي مكتوبة بلغة لا تلائم عصرالقرضاوي، ولا تعالج مشكلاته العقلية، وكانوا يدرسون جزءاً من رسالة الشيخ محمد

---

[١٠٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢١٩

عبده في رسالة التوحيد "حاجة البشر إلى الرسالة"، وهو فصل مهم ولكنهم لم يجدوا من يدرسهم تلك الرسالة كما ينبغي.

علم التفسير:

كانوا يدرسون "علم التفسير" من السنة الثالثة الثانوية ويعتقد القرضاوي أنه تأخر كثيراً، و لم يكن الكتاب المقرر [تفسيرالإمام النسفي] كافياً في إفادة الطالب المعاصر ما يحتاج إليه من مادة التفسير، فيجوز القرضاوي أن يدرس التفسير في كتابين: كتاب قديم كالنسفي والبيضاوي أو غيرهم لكي يتدرب فيه الطالب على قراءة كتب التراث في التفسير وحسن فهمها، مع كتاب آخر حديث يقدم له هداية القرآن ومقاصده، مكتوباً بلغة عصرية سلسلة، راداً على المشكلات التي يثيرها بعض الخصوم على القرآن والإسلام نحو تفسير الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا. وكذلك من المحتم على طالب المعهد أن يدرس جرعة كافية من أساسيات علوم القرآن نحو المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ وغيرها مما لابد منه.

علم الحديث:

كانت مادة علم الحديث تحتوي مختارات من صحيح البخاري في كتبه وأبوابه المختلفة، وكتاباً مختصراً في علم "مصطلح الحديث" ولكن متنه كان ينقص الشرح والتفصيل، وبالمثال يتضح المقال، قد درسوا علم الحديث في السنوات الخمس كلها واستفادوا منه بلا شك، وربما كانت هي المادة الوحيدة التي تجاوبوا معها أكثر من غيرها، ولكن لم يفدوا كثيراً في فهم مصطلح الحديث من كتاب صغير، فهناك حاجة إلى كتاب معاصر في علم مصطلح الحديث، الذي لا يذكر القاعدة والدليل عليها فقط بل يمثل لها بأمثلة واقعية موضحة، وهنا يشير القرضاوي إلى أهمية المعلم في التدريس الناجح حيث يقول:

"فالمدرس الناجح يعوض ما في الكتاب من نقص، والمدرس الفاشل يضيع قيمة الكتاب النافع ويميت المادة الحية."[١٠١]

[١٠١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٢٢٥

العلوم العربية:

تأتي علوم العربية في المرتبة التالية بعد علوم الدين. وهي الآلة اللازمة لفهم الدين وعلومه ولهذا كان لهذه العلوم العربية مكان ومكانة في الأزهر منذ نشأته إلى اليوم.

النحو والصرف:

درس الطلاب علم النحو والصرف في المرحلة الثانوية مرتين كاملتين، ودراسة النحو، كما رأى القرضاوي ربما أخذت أكثر من حقها، ومع ذلك لم يستفيدوا الطلاب منها في تكلمهم إلا قليل جداً، فيقول القرضاوي:

"على أن هذه الداسة برغم توسعها وتعمقها ينقصها شيء جد مهم، وهو الخروج من النظرية إلى التطبيق، فكثير من الذين يحصلون على ٤٠من ٤٠ في إمتحان النحو، لا يكادون يقيمون جملة سليمة إذا تكلموا."[١٠٢]

علم البلاغة:

قد درسوا علوم البلاغة أي علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع من خلال "زهرالربيع في المعاني والبيان والبديع" للشيخ الحملاوي، و"تهذيب السعد" للعلامة سعدالدين التفتازاني و"مفتاح العلوم" للسكاكي، وكتاب "تهذيب السعد" كان ينقص الإكثار من الأمثلة الأدبية البليغة من الشعر والنثر، لكي يتذوقها ويحس بجمالها الفني الطالب الدارس، بل حوّل البلاغة إلى علم معقد، يحتاج إلى معاناة للفهم.

تاريخ الأدب العربي:

قد درسوا تاريخ الأدب العربي مرتبا حسب العصور التاريخية، من عهد الجاهلية إلى العهد النبوي والراشدي إلى عهد الأمويين فالعباسيين فالعثمانيين، إلى عصر النهضة الحد يثة، من خلال كتاب "الوسيط" الذي ألفه جماعة من كبار أساتذة الأزهر، وجد القرضاوي هذه المادة شائقة ونافعة، ولكن كان التركيز فيها على تاريخ الأدب لا على الأدب نفسه وأشار القرضاوي إلى حاجة طالب الأزهر إلى فكرة عن النقد الأدبي وأصوله أيضاً.

---

[١٠٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٢٦

القراءة والمحفوظات:

كان يمتحن الطالب في مادتان شفهياً وما كان لهما منهج واضح، وهما "القراءة والنصوص"، يشير القرضاوي إلى وجوب تحويلهما إلى مادتين يمتحن الطالب فيهما تحريريا، وتقرر فيهما منهج واضح ترفع من مستوى الطالب الأدبي وذوقه، حتى لا تترك بلا خطام ولازمام.

علم المنطق:

ويراد به "منطق أرسطو" قرر الأزهر تدريسه في معاهده الثانوية، وفي كلياته الجامعية، مثل أصول الدين والشريعة، وفقا لرأي الإمام الغزالي في ضرورة تعلم المنطق غالباً، وقد اختلف علماء المسلمين في شأنه، فمنهم من حرم تعلمه كالإمامين ابن الصلاح والنووي، ومنهم من لم يكتف بتحريمه، بل نقده نقداً علمياً موضوعيا رصينا نحو شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي قال فيه:

" إنه لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد." [١٠٣]

ولكن الإمام الغزالي عد تعلمه واجباً، وسماه "معيار العلوم" ويقول القرضاوي أن طالب الأزهر في حاجة إلى أخذ فكرة مبسطة عن علم المنطق القديم هذا، لأن كتب التراث عندنا تمتلئ بالمصطلحات المنطقية، فلذا يلزم الطالب الأزهري أن يأخذ فكرة عنها، حتى لا تلغز عليه هذه العبارات إذا قرأها، ويتم هذا بفكرة مكملة عن "المنطق الحديث" ومناهجه.

التاريخ:

كان يدرس لهم علم التاريخ جميع سنوات الدراسة، والتاريخ مادة حية ولازمة، ودراسة التاريخ عامة، والتاريخ الإسلامي خاصة، أمر ضروري جداً لتكوين ثقافة حية متكاملة، ولكن عيب دراسة التاريخ في المعاهد إنها لم تجعل الإسلام محور دراسة بل جعل " مصر" محور التاريخ، وفي رأي القرضاوي ينبغي أن يدرس تاريخ الإسلام مع إبراز ما قدمته الدول الإسلامية من فتوح، وما أنجزته من حضارة، وما تر كته من علوم وفنون آثار وتقديم الصراع بين الإسلام وخصومه من الصليبيين والتتاريين، تحول التتار إلى الإسلام، وينبغي أن يدرس سقوط الأند لس وأسبابه، وظهور الدوله العثمانية ثم تقسيمها، وكيف استفادت أوربا بما اقتبسته من المسلمين في الأندلس وصقلية،

[١٠٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٢٨

والاحتكاك بالحروب الصليبية، وغيرها، ويجب أن يدرس مقرر حاضر العالم الإسلامي بحيث تطرح فيه أسباب وحدة هذا العالم، والمشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي وما حلولها؟ وما الأخطار الداخلية والخارجية على هذا العالم؟ وما موقف الاستعمار والصهيونية والشيوعية منه؟...الخ.

العلوم الكونية:

في المرحلة الثانوية درس القرضاوي العلوم الكونية ويعنون بها علوم الطبيعة، والكيمياء، والأحياء، وهذه العلوم سميت "الحديثة" وهي في الواقع "العلوم القديمة" عندنا نحن المسلمين كما يقول الدكتور القرضاوي:

"بل كنا فيها أئمةً ورواداً. فقد كان علماؤنا الطبيبون والرياضيون أشهرالعلماء في العالم وكانت كتبنا العلمية أشهر المراجع في العالم، وكانت جامعاتنا العربية الإسلامية موئل طلاب العلم في العالم، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم الأولى في العالم، التي عجز أكثر أهلها اليوم أن يدرسوا بها الطب والهندسة والصيدلية والعلوم الطبعية والرياضي وكثيرا ما كان علماء الدين أنفسهم هم علماء الدنيا وعلماء الطبيعة، ولم يجدوا من دينهم ما يعوقهم عن التفوق في هذه العلوم، بل وجدوا فيه الباعث والحافز والمحرك... فتسمية هذه العلوم الكونية بـــ"الحديثة" إنما هو بالنظر إلى العهود الأخيرة التي تراجعت فيها حضارتنا، وتخلفت فيها أمتنا، وتقدم غيرها، ونامت واستيقظ غيرها، ممن تتلمذ عليها، وقبس من نورها، ثم تفوق عليها، وأمست هي تتلمذ عليه، وتأخذ منه." [١٠٤]

والعيب في تدريس هذه العلوم في معاهد الأزهر أنها كان ينقصها اللمسات الإيمانية، التي تدرس القوانين على أنها جزء من "سنن الله في الكون" وليست مجرد "قوانين طبيعية" كأن الطبيعة هي صانعتها.

غياب اللغة الأجنبية:

وما لاحظ القرضاوي في المرحلة الابتدائية من غياب اللغة الأجنبية، استمر في المرحلة الثانوية، مع حاجة الطلاب الأزهريين إليها للدعوة إلى الإسلام، الذي جعله الله رسالة عالمية، ويجوز القرضاوي

[١٠٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٣٣

أنه كان يمكن اختصار بعض حصص النحو أوسواها لإعطائها للغة الأجنبية، دون أن يفقد الطالب كثيراً.

غياب روح الدعوة:

وللأسف الشديد لاحظ القرضاوي " غياب روح الدعوة " من الدروس المقررة، حتى من دروس المقررات الدينية نفسها. "فكلها تشكو من "الجفاف الروحي"، وتعاني حالة من الهمود والجمود، في المادة العلمية، وفي طريقة عرضها وفي المعلم الذي يدرسها، فلا تدفع العقل ليبحث ويحقق، ولا الروح ليحلق ويشرق، ولا الإرادة لتعمل وتطبق." [١٠٥]

على خلاف ما رأى القرضاوي في "ندوة العلماء" و"دار علومها" بلكهنو بالهند، التي كان يشرف عليها العلامة الشيخ أبوالحسن علي الندوي، حيث وجد تعليمهم ومناهجهم وشيوخهم، "تسري فيها الروح الدعوية، والمعاني الربانية، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة اليانعة." [١٠٦]

ويقول الدكتور القرضاوي بالأسف الشديد بأن "إذا كان التعليم الأزهري لايساعد الطالب على تزكية نفسه، والانتصار على شهواتها، ولا يعلم عينيه الدموع، ولا قلبه الخشوع، فما ذا بقي له من أزهريته الحقيقية غير العمامة والجبة (الكاكولة) إن بقيتا ؟!"[١٠٧]

دروس فقهية في القرية:

وبعد السنة الثانية الثانوية، بدأ القرضاوي من دروس فقهية في قريته، التي تدورحول "فقه الأحكام" وخصوصاً العبادات وبالأخص الصلاة. ومن الخصائص الجديدة في هذه الدروس كان البعد عن الحشو والفضول وما لا حاجة حقيقية بالناس إليه والتيسير والتخفيف عن الناس ما وجد سبيل إلى ذلك، والتحرر من التعصب لمذهب إمام بعينه لأن المسلم يتبع الحجة ولا يتبع الأشخاص غير المعصومين، وكان هذا النهج مخالفا لما ألفه الناس من علماء القرية قبل القرضاوي، فاستغربه الناس

---

[١٠٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٣٤

[١٠٦] المصدر السابق، ص ٢٣٥

[١٠٧] المصدر السابق، ص ٢٣٥

في أول الأمر، وإن وجدوا فيها كثيرا من التيسير والتسهيل عليهم، وشاع هذا الفقه الجديد في القرية حتى بين نسائها، وإن كن لا يحضرن هذه الدروس.

وباء الكولراء:

في سنة ألف تسعمائة سبع وأربعين هجم على مصر وباء "الكولراء" وانتشر في مصر كلها انتشار النار في الهشيم، وصل هذا البلاء إلى قرية القرضاوي، وفي عدة أيام صرع الموت في القرية ما يقارب الأربعين شخصا، معظمهم من الرجال، ومنهم اثنان من أقارب القرضاوي، ابن عمه الأكبر وزوج ابنة عمه..ودع القرضاوي ابن عمه بقصيدة حزينة، قصيدة تائية من بحرالطويل. وحزن حزنا شديداً لأنه كان زوج خالته الصغرى أيضاً، التي تلد طفلة بعد أشهر سميت باسم أم القرضاوي، ثم ماتت الطفلة أيضاً وهي في الثانية من عمرها، أثرت هذه الحادثة الكارثة في قلب القرضاوي كثيراً فعرفها جدير بالذكر في سيرته الذاتية.

التقاؤه بالإخوان:

استمع القرضاوي إلى الشيخ البنا، منذ كان طالباً في السنه الأولى الابتدائية، وأعجب بشخصيته، وملك حبه قلب القرضاوي فيقول:

"لقد تعلق فؤادي بحسن البنا تعلق المريد بالشيخ، والتلميذ بالأستاذ، والجندي بالقائد" [١٠٨]

كان الإمام حسن البنا من القلائل الذين أدركوا خطر الصهيونية، وحذروا منه وأنذروا في وقت مبكر، وكان يعيش في قضية فلسطين، كان الإمام يعتقد بأن الإسلام ليس دينا فحسب، ولكنه نظام سياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكان يسعى أولا إلى إفهام المسلمين دينهم فهما صحيحا، وإلى ايجاد المحبة والأخوة بينهم، ثم تطبيق النظم الإجتماعية والاقتصادية التي جاءت في الدين عليهم، قد كتب الكاتب الصحفي الشهير محمد التابعي في مجلة "آخر ساعة" من هم هؤلآء الإخوان؟:

---

[١٠٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٤٢

"أما الإخوان أعني الجمعية نفسها فهي شعار مكون من سيفين متقاطعين بينهما مصحف كتبوا تحته كلمة "وأعدواء". ثم المرشد العام: ذلك الرجل الملتحي ذوالعينين البراقتين، والصوت الحازم القوي المكين، وليس هناك بعد ذلك إلا مليون رجل فقط على إستعداد لبذل آخر قطرة من دمائهم عندما يأمر بذلك المرشد العام" [١٠٩]

اشتراك القرضاوي في القضايا الوطنية:

وكان للطلاب والشباب دورهم المتميز والمؤثرفي تجلية القضية الوطنية وإبرازها سافرة لأبناء الوطن جميعا. وكانوا يتابعون في الأقاليم ما يجري من الأحداث في القاهرة. وقد ألقى القرضاوي عددا من القصائد في دارالإخوان في هذه الفترة، وقد ضاعت هذه القصائد فيما ضاع من شعرالقرضاوي ولكن يذكر بعض الأبيات من قصيدة ميمية. وشارك القرضاوي في معارضات شعبية من الإخوان وبذل جهوده معهم بأعماق قلبه. وكان من دعاة الإخوان الذين كانوا يطوفون المدن والقرى، يحرضون على الجهاد بالنفس وبالمال ضد بني صهيون لأجل فلسطين.

يذكر القرضاوي قصتين من قصص الجهاد وهما قصة عبدالوهاب البتاتوني وقصة حسن الطويل، كلاهما كانا تشوقا إلى الشهادة في سبيل الله؛ فاستشهد البتاتوني ودخل السجن حسن الطويل مع المجاهدين.

قد كان دور الإخوان في قضية فلسطين، على الصعيد الدعوي والسياسي والعسكري، دوراً مزعجا للقوى الاستعمارية المساندة للصهيونية فطلبوا من رئيس الحكومة المصرية حينئذ محمود فهمي النقراشي باشا الإسراع بحل "الإخوان المسلمين"، وسرعان ما استجابت حكومة النقراشي لمطالب القوى الاستكبارية، وصدر قرارحل الإخوان في ثمانية من ديسمبر سنة ألف تسعمائة ثمانية وأربعين ميلادية، وكانت هذه العقوبة هي الاعتقال والمصادرة والتشريد والتنكيل على كل مستوى.

---

[١٠٩] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٥٣.

نشاط دعوي مكثف:

كانت المرحلة الثانوية بالنسبة للقرضاوي منطلق النشاط الدعوي الإخواني المكثف، فقد كان يعمل في الإخوان في قسمين أساسيين: قسم الطلاب وقسم نشرالدعوة. وكان يتحرك في نشر الدعوة على مستوى مديرية الغربية، وكانت طلبات البلاد المختلفة تأتي إلى قسم الدعوة بطنطا تلح عليهم بإرسال "الداعية المحبوب" يوسف القرضاوي، وكانت هذه نعمة جزيلة من الله تبارك وتعالى أنه منحه حب عباده، فضلا منه ومنة عليه، حتى زار بلادا خارج الغربية ومن القرى التي زارها مرارا وكانت له صلة بأهلها: قرية "محلة أبوعلي" المجاورة ل"المحلة الكبرى"، و"محلة زياد"، و"السملاوية"، وقرية "الفرستق" و"بسيون" وغيرها.

واقعة دعوية لا ينساها القرضاوي:

ومن الوقائع التي لا تنسى في مجال الدعوة: ما وقع للقرضاوي في أحد "الرمضانات" وقد كان القرضاوي مقيما في القرية في الإجازة الصيفية، وأرسل إليه الإخوة في طنطا: أن الإخوان في كفر الشيخ يطلبونك لخطبة الجمعة في أحد البلاد هناك؛ فخرج من البيت بكل ما يملك من النقود في ذلك الوقت، وكان المفروض أن يرسل الإخوة من طنطا نفقات هذه الرحلة للقرضاوي، فهو طالب وليس موظفا، ولكن ماذا حدث، غالباً أنهم اتكلوا على الإخوة في كفر الشيخ والإخوة هناك اتكلوا عليهم، والأخ الذى رافق القرضاوي من كفر الشيخ خالي الذهن تماما عن هذا الموضوع، فعند العودة ابتلي القرضاوي بلاء عظيم، وأصابه كرب شديد، إذ كان صائما وما كان عنده نقود للإفطار وركوب السيارة لكي يصل إلى بيته. كان حياؤه أقوى من حاجته؛ فلم يستطع أن يطلب من الإخوة في شعبة المحلة أجرة السفر إلى صفط، فعاد إلى القرية، وهو شديد الجوع مع التعب، فكان أول ما فعله أن أكل. ولكنه كان قوي العزم لحضور الاجتماع للتشاور في تأسيس شعبة الإخوان في صفط تراب. وهذا يدل على أنه رجل الدعوة، وهي شغله الشاغل، ومحور تفكيره واهتمامه.

أيام التربية تحت رعاية الشيخ البهي الخولي:

ومن أهم الرجال الذين استفاد القرضاوي من حلقاتهم ومجالسهم، والتقط من لآلئهم وجواهرهم، الشيخ الداعية الكبير البهي الخولي، ولقد فكر الأستاذ البهي في أن يصطفى نخبة من خيرة شباب الإخوان، يدنيهم منه، ويربيهم في مدرسته، ويلقنهم فكره وذوقه، ويأخذهم بعزائم السلوك، وقد اختار الشيخ لهذه المجموعة اسم "كتيبة الذبيح" والقرضاوي وأصدقاؤه كانوا من هذه النخبة.

ويذكر القرضاوي:

"كان موعد اللقاء قبيل فجر الاثنين -على ما أذكر- من كل أسبوع، وفي بيت الأستاذ، أو في دار الإخوان، نصلي معه الفجر، ثم نجلس في حلقتنا الروحية، التي يحلق بنا فيها إلى أجواء ربانية عالية، فنحس بأننا نشف ونصفو حتى نكاد نطير بلا أجنحة" [١١٠]

شعر القرضاوي الذي ضاع:

ذكرت قبل ذلك أن القرضاوي بدأ يخطو الخطوات الأولى في نظم الشعر في السنة الثالثة من المعهد الابتدائي بالسليقة والفطرة، وقد كان ما نظمه في هذه السنة قليلا، ثم طفق يكثر ويتسع في السنة التي بعدها، ولاسيما في السنة الرابعة، وكان ينشد القصائد بالمناسبات الوطنية والإسلامية.

قد ذكر القرضاوي بعض أبيات القصائد التي ضاعت منه، ومنها: قصيدة بعنوان "الدعوة تتحدث عن نفسها" بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس حركة الإخوان، وقصيدته "وداع الشهداء في فلسطين" وهي من بحر الخفيف، وقصيدة اجتماعية عنوانها "نساء اليوم" وقصيدة تأملية تحمل نزعة فلسفية، عنوانها "مناجات القبر"، وقصيدة دينية مثل "المولد النبوي"، وقصيدة في رثاء الشيخ المراغي، وغيرها. كلها ذهبت فيما ذهبت. تخلص منها الإخوان الذين أودعها القرضاوي عندهم خوف مداهمات التفتيش، وهذه ستكشفهم وتدل عليهم، فلم يكن منهم إلا أن أحرقوها. ويعلق القرضاوي على ذلك:

"وهم لا يعلمون أنهم أحرقوا معها قلبي، سامحهم الله، وجزى من خوفهم إلى هذه الدرجة ما يستحق" [١١١]

---

[١١٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٢٨٤

الثمرات التي حصل القرضاوي بإنضمامه إلى الإخوان المسلمين:

يريد القرضاوي أن يسأل نفسه هل أثبت انضمامه إلى دعوة الإخوان المسلمين خيراً له في دينه ودنياه؟ وهل استفاد من هذه الدعوة أم لا؟ فيقول:

"وأود أن أقول بكل صراحة وجلاء: إنني حققت مكاسب دينية ومعرفية كبيرة، واجتنيت فوائد جمة بانضمامي إلى دعوة الإخوان" [١١٢]

ثم يذكر بالتفصيل ماذا حصل بانضمامه إلى دعوة الإخوان، وأنا أذكر مجملا ماذا قال القرضاوي كما يلي:

١. وسعت دعوة الإخوان أفق القرضاوي بفهم الإسلام فهما شاملا، كما شرعه الله تعالى، و لم يعد الإسلام مقصورا على أداء الشعائر، كما كان يتصور من قبل.

٢. أسقطت عن القرضاوي فريضة "العمل الجماعي لنصرة الإسلام" فإذا كان أعداء الإسلام يعملون مجتمعين مترابطين كيف يجوز لنا أن نقابلهم منفردين متناثرين؟ والنصر إنما يتحقق بالمؤمنين المترابطين المؤتلفين.

٣. انتقل القرضاوي من مجرد "واعظ ديني" في القرية أو القرى المجاورة إلى "داعية إسلامي". والداعية الإسلامي، مهمته أن يثقف الفكر، ويوقظ الشعور، ويشد العزائم، ويحشد الطاقات، ويجمع القوى، ويوثق الروابط، ويجمع الأمة ما استطاع في ساحة الإسلام.

٤. استحالت هموم القرضاوي الصغيرة إلى هموم كبيرة، هموم أمة كبرى من المحيط إلى المحيط، وانتقل من المطامح التي تتعلق بشخصه إلى الآمال المتعلقة بالأمة الإسلامية.

٥. ومما استفاد القرضاوي من مدرسة الدعوة: الخروج من العزلة التي فرضت على أبناء الأزهر، نتيجة التعليم المزدوج أي دينية ومدنية وبين الفريقين حواجز ثقافية ونفسية تفصل بينهما، وكانت شعبة الإخوان هي "الخلاط" الذي يمزج الجميع، ويجمع بينهم في رحاب الدعوة.

---

[١١١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٣١٠

[١١٢] المصدر السابق، ص ٣١٤

وقفة نقدية مع الإخوان:

مع هذه الثمرات يرى القرضاوي من المناسب أن ينقد الإخوان لأن الدين هو النصيحة، وفي ملاحظته الناقدة السريعة يشير إلى:

١. ضعف الاهتمام بالجانب الثقافي أو العلمي أو الفكري فيها، قد شاع لديهم إيثار الجانب العملي والجهادي على الجانب العلمي والفكري.

٢. غيابة النظرة الإستراتيجية أو الاستشرافية للمستقبل، ويقول القرضاوي: "كنت أتمنى من الإخوان أن يكون لديهم تفكير "إسترا تيجي" فيما يتصل بشبابهم، والانتفاع الأقصى بمواهبهم وقدراتهم الخاصة، ومساعدتهم في التوجه إلى أفضل ما ينفعهم، وينفع دعوتهم وأمتهم " [١١٣]

على سبيل المثال يذكر القرضاوي كان يمكنهم أن يوجهوا مثله إلى تدريب قلمه على الكتابة، وإلى تعلم اللغة الإنجليزية، ولو تم هذا لكان فيه خير كثير للقرضاوي وللدعوة التي نذر حياته لخدمتها ولكن لم يخطر لهم ذلك ببال، هكذا كان يمكنهم أن يرتبوا لقاءات منهجية لشباب الدعاة من الإخوان في الأقاليم بالإمام حسن البنا، ليتعلموا منه، ويستمعوا إليه ولو في أثناء العطل، فيقتبسوا من علمه وثقافته، وحسن تجربته ويشربوا من روحه ولكنهم للأسف لم يفكروا مجرد تفكير في ذلك.

ولكن هذه نظرة نقدية لاتمس جوهر الدعوة وسمو أهدا فها، وعظم مجهودها في خدمة الدين والأمة بحال.

حادث حل الأخوان وانغماس النجم الثاقب:

يذكر القرضاوي حل الإخوان بالتفصيل لأن له أثر كبير في حيا ته ومسيرته خاصة، ومسيرة الدعوة الإسلامية والشعب المصر والعربي عامة. لقد كانت بطولة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين عام ألف تسعمائة ثمانية وأربعين ميلادية مثار دهشة للعا لم أجمع، ومثار خطر داهم على الكيان الصهيوني وقيام دولة إسرائيل؛ فكان حل الإخوان من تدبير اليهودية العالمية والشيوعية

[١١٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٣١٩

الدولية، والدول الاستعمارية وأنصار الإلحاد والإباحية، الذين يرون في الإخوان السد المنيع الذي يحول بينهم وبين ما يريدون. لأجل ذلك أغلقت دور الإخوان وصودرت ممتلكاتهم، واعتقل عدد كبير منهم من القاهرة والأقاليم، إلا فرداً واحداً، هو قائد الجماعة ومؤسسها، الإمام حسن البنا.

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر - أي بعد حل الإخوان بعشرين يوما وقع ما حذر منه الإمام البنا، فقد قتل أحد طلاب الإخوان عبد المجيد حسن من أعضاء النظام الخاص رئيس الوزراء ووزير الداخلية والحاكم العسكري العام محمود فهمي باشا النقراشي. فقبض على المجيد حسن في الحال، وأودع السجن. و لم يكن للأستاذ البنا صلة بهذا الحادث، ولا علم له به، وعين إبراهيم باشا عبد الهادي، نائب النقراشي، خلفاً له في رئاسة الوزارة، الذي صمم على أن يضرب بيد من حديد وأن ينتقم لسلفه النقراشي.انتهز الأستاذ البنا الفرصة، ليكتب فيها الرد على مذكرة عبدالرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية، التي تضمنت أسباب حل الإخوان، ولكن للأسف لم يجد أذنا صاغية، ولا قلوبا واعية. وكانت هذه الرسالة آخر ما كتبه الإمام البنا، إذ قتل قبيل غروب الشمس في اثنتا عشر من فبراير سنة ألف تسعمائة تسع وأربعين ميلادية. هكذا انغمس النجم الثاقب قبل غشاء الليل الذي نوّر الطرق المظلمة للأمة المسلمة لكي تستيقظ من النوم وتؤم العالم.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

وقد أخبر الأستاذ البنا زملاؤه بأن إخجام الحكومة عن القبض عليه معناه إصدار أمر رسمي باغتياله. وقد دلت التحقيقات والمحاكمات المختلفة التي جرت فيما بعد على أن اغتياله كان أمرا مدبرا بلا ريب، وأنه تم على يد أعضاء البوليس السياسي، فقد أثبت التاريخ أن الاغتيال السياسي لا يحل مشكلة، وأن كثيرا ما يكون الخلف أنكى وأقسى من سلفه. وفي هذه القضية، كان رد فعل هو اغتيال الإمام حسن البنا، ثأرا للنقراشي.

قصة اعتقال القرضاوي:

عندما أصدر حكم حل الأخوان، كان طلاب الأخوان في حالة ترقب، ينتظرون أن يصدر الأمر باعتقالهم في أي وقت، ولا سيما الطلاب الذين لهم زعامة وتأثير في محيطهم، والقرضاوي كان من

هذه الطائفة. وقال له بعض الإخوان إن الدور عليه لا محالة، فكر في الأمر القرضاوي ورفيقه محمد الدمرداش مراد وتشاورا في الأمر، وقررا أن يغيبا من المعهد ويختفيا معا في قرية الدمرداش [السملاوية قرية صغيرة بعيدة عن أعين الرقباء]، وبقيا هناك فترة من الزمن حتى هدأت الأمور. واصطحبا القرضاوي والدمرداش ملابسهما وكتبهما ليستذكرا فيها ما يفوتهما من دروس، وغاب عنهما أن اختفاءهما معا سيوجه رجال الأمن إلى البحث عنهما في قرية كل منهما.

ذهب رجال الأمن إلى قرية صفط أولاً، ولما لم يجدوهما فيها، اتجه تفكيرهم إلى السملاوية، وعندما وصلوا إلى بيت محمد الدمرداش، حاول القرضاوي والدمرداش أن يختفيا عند الجيران ولكن نسيا أحذيتهما وكتبهما وملابسهما في بيت الدمرداش، هكذا عرف رجال الأمن أنهما موجودان هناك. ولكنهم لم يصلوا إليهما لأنهما كانا في حجرة مغلقة في بيت أحد الجيران وكانت جارتهم خارج البيت. فاصطحب رجال الأمن معهم المرأة الطيبة أم محمد الدمرداش إلى نقطة الشرطة في "نمطاي" وهي قرية مجاورة. وعندما عرفا ما حدث مع أم الدمرداش في أثناء اختفائهما، قال القرضاوي للدمرداش لا يجوز أن تبقى والدته ليلة واحدة في الحجز فسلما أنفسهما وأفرج عن الحاجة رحمها الله تعالى.

الروح الدعوية حتى في السجن:

لون الدعوة هو أغلب الألوان في شخصية القرضاوي فهو داعي إلى الله أين ما كان. عندما دخل هو والدمرداش حجزالمركز وجدا فيها أكثر من أربعين شخصا، معظمهم ليسوا من أهل الجريمة. فطلبا منهم أن يصلوا معهما صلاة العشاء، وقد أمهم القرضاوي وقرأ بهم قراءة طويلة خاشعة تأثر الناس بها، وسألوهما عن تهمتهما فأجابهم بقدر ما يفهمون واغتنمها فرصة ليحدثهم عن الدعوة، كما كان يوسف عليه السلام يبلغ دعوته إلى من حوله من أهل السجن. وألقى القرضاوي عليهم موعظة قصيرة بعد صلاة الفجر ثم قرأ "المأثورات" وهي جملة من الأدعية المأثورة. جمعها الإمام البنا، وحث على إخوانه على أن يذكروا الله بتلاوتها صباحا ومساء، فشارك أصحاب السجن في بعض الأذكار، ورددها الجميع بصوت جماعي كان يهز أركان حجزالمركز. قد أحس بذلك جاويش المركز و فتح باب الحجز وزجرهم بأنهم حولوا السجن إلى المسجد وفي عصر ذلك اليوم

انتقلهما رجال الأمن إلى طنطا وأدخلهما حجر قسم اول طنطا: ثم نقلا إلى سجن خاص بالإخوان.

وفي السجن الطنطاوي كانوا يصلون الصلوات الخمس في جماعة، ويخطب أحدهم خطبة الجمعة ويصلون الجمعة داخل السجن. بعد مكث هناك نحو أربعين يوما، وضعوهم رجال الأمن في سيارات الشرطة الكبيرة، التي نقلتهم إلى معتقل هايكتسب، في ضواحي القاهرة، ثم في الصباح نقلوهم إلى مدينة السويس ليركبوا الباخرة "عايدة" التي نقلتهم إلى معتقل جبل الطور، المخيم الدائم للإخوان. هنا أيضاً أحس القرضاوي بالأسف الشديد على حالة أهل هذه المنطقة، أهل الطور الذين كانوا في غاية الفقر والأمية والجهل، حتى إنهم كانوا لا يعرفون بدهيات الدين. ولا أن من ربهم ؟ ولا أن محمد نبيهم. فينادي القرضاوي في حالة الأسف:

"كأنهم منسيون في هذا الجزء المهم من الوطن من دولتهم، التي لا تعرف عنهم كثيرا ولا قليلا. كان أحدهم إذا سئل: من نبيك؟ يقول: موسى! وإذا سئل: من ربك ؟ يقول أيضاً: موسى ! فأين الدولة ؟ وأين الأزهر والأوقاف من هؤلاء ؟" [١١٤]

وفي معتقل الطور، في بعض الأيام طلب من القرضاوي الشيخ الغزالي أن يلقي درسا بالنيابة عنه فألقى درسا واستدل بالقرآن والحديث والحكم والشعر على ما أورد من مفاهيم، وقد استقبل الإخوان هذا الدروس بقبول حسن. وفي رحلتهم إلى الطور، مروا بمنطقة تسمي "أبوزنيمة" بها مصانع للمنجنير وبها عدد من العمال يشتغلون بها، وقد توقفوا عندها قليلا للاستراحة، وكان مما استلفت نظر القرضاوي: أنه وجد قسيسا قبطيا بعثت به الكنيسة، إلى عمالها هناك، فقال لنفسه:

"تذكرت الكنسية القبطية أن لها أبناء في هذه المنطقة البعيدة، فأرسلت إليهم قسيسا يعظهم، ويصلهم بكنيستهم ورجالها، فهل تذكر الأزهر أو تذكرت وزارة الأوقاف أن هنا عمالا مسلمين يحتاجون إلى من يرشدهم ويعلمهم ويفقههم في دينهم؟ هل تذكرهم الأزهر، وأرسل إليهم واعظاً؟

[١١٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٣٦٠

وهل تذكرتم وزارة الأوقاف لترسل إليهم إماما وخطيبا؟ هل فكرت أصلا في بناء مسجد لهم من أوقاف المسلمين وهي كثيرة بحمد الله ؟ كلا، لم نجد أثرا، لا للأزهر ولا للأوقاف" [١١٥]

علاقة القرضاوي مع الأدب العربي في حالة الأعتقال:

كانت علاقة القرضاوي مع الأدب العربي علاقة وثيقة إذ أنه اصطحب معه كتاب الأدب "العقد الفريد" في السجن واستمر بقراءته في وقت فراغ. فانتاجه الأدبي في السجن يشمل القصائد الرائعة نحو في مدح الإخوان قصيدة نونية، ونشيد "يا سجون اشهدي" وقصيدة "معركة بغيرقتال" وقصيدة "ليلة القدر". ومسرحية عن الأمام سعيد بن جبير ومواجهته للحجاج. وكان هذا من ثمرة قراءته للعقد الفريد. قد أعاد القرضاويْ كتابة الموضوع تحت عنوان "عالم وطاغية" بعد الإفراج، وهي مسرحية مثلت في أكثر من بلاد ولقيت قبولا عاما.

عودته إلى القريه بعد الاعتقال:

عاد القرضاوي إلى قريته [صفط تراب] بعد اعتقاله لعدة أشهر. وجاء الناس إلى داره يسلموا عليه ويهنؤنه بالعودة، وحسب بعضهم أنهم سيجدون إنسانا قد قهره الاعتقال، وأخرس لسانه وهد كيانه. ولكنهم فوجئو بأنه يحدثهم عما صنع الإخوان في المعتقل، وكيف حولوه إلى جامع وجامعة وجمعية ومنتدى، حتى أسر بعضهم إلى بعض قائلا: إن الاعتقال لم يغيره، وبعضهم خشي على نفسه أن يسمع مثل هذا الكلام فأسرع بالقيام. ورجع القرضاوي إلى طنطا بعد يومين فقط ليتفرغ تفرغا تاما لمراجعة الكتب المقررة.

استعداد لامتحان الثانوية:

لم يبق على موعد الامتحان سوى خمسة عشر يوماً، عندما رجع القرضاوي إلى طنطا، وبارك الله في هذه الأيام القليلة، وواصل القرضاوي الليل بالنهار، لا يكاد ينام إلا القليل. استعد للامتحان في هذه المدة القليلة، متوكلا على الله، مستمدا منه التوفيق، وهذا هو أسلوب المؤمن أن يجتهد ويتوكل على الله ويستمد منه التوفيق.

---

[١١٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٣٩١

تخطيط الخطة لالتحاق بكلية أصول الدين:

كان القرضاوي يتمنى منذ السنة الثانوية الابتدائية، أن يلتحق بكلية أصول الدين، كان يعجب بكلية أصول الدين لأنها كلية الثقافة الإسلامية الواسعة والمتنوعة، تدرس العلوم العقلية والنقلية فكان القرضاوي لا يعدل بها بديلا، وحصل القرضاوي على الترتيب الثاني في الشهادة الثانوية، على طلاب المعاهد الدينية في المملكة المصرية في الدورين الأول والثاني، وكان بين القرضاوي وبين الطالب الأول نصف درجة فقط، واقسما كلاهما مكافأة للأول معا بالتساوي التي كانت حوالي ثلاثة وثلاثين جنيها. والسبب كان عدم اهتمامه برعاية الوقت في امتحان الفقة. لأنه انشغل نفسه في حديث عن حياته في المعتقل مع الأستاذ المراقب، عندما سأل الأستاذ عن سبب عدم الصاق صورته الشمسية بالاستمارة، وعرف أن القرضاوي كان في جبل الطور، هكذا ضاع من القرضاوي من أسئلة الفقه، الذي كان كثيراً ما يحصل فيه أربعين من أربعين.

وكان الأزهر في تلك السنة قد أنشأ مكتب التنسيق لتوجيه الطلبة إلى كليتي أصول الدين والشريعة خاصة. فمن كانت درجاته في الفقه أعلى ألحق بكلية الشريعة، ومن كانت درجاته في التوحيد والمواد الأخرى أعلى ألحق بكلية أصول الدين.

وكان المعتاد أن تكون درجات القرضاوي في الفقه أعلى ولكن نقصت درجاته في الفقه كثيرا وحصل درجاته في العلوم الأخرى أعلى كثيرا جدا فحول اسمه إلى كلية أصول الدين، بغير معاناة ولا طلب ولا وساطة، هكذا خطط الله خطة له لدخول في كلية أصول الدين. وهذا يذكرنا قول الله تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام:

﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[١١٦]

[١١٦] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٧٦

نموذج من حلم القرضاوي:

يقص لنا القرضاوي أنه كان يزور الشيخ محمود شلتوت في بيته ومعه الأخ أحمد العسال، والأخ أحمد محمد، وكانوا ثلاثتهم متلازمين في هذه الزيارات.وقد قال لهم الشيخ شلتوت مرة:

" أرجو أن تظلوا مترابطين، وأن تظل أخوتكم دائمة، ولا تفرق الأيام بينكم كما حدث لإخوة قبلكم. وكنا نستغرب هذا الكلام الذي ليس له أي مقدمات. وكأنما كان الشيخ يقرأ الغيب، فقد فرقت الأيام بيننا بالفعل" [١١٧]

فقد انفصل عنهم أحمد محمد ،وشن الغارة على إخوانه، وأصدقائه واحدا بعد الآخر، وهاجمهم هجوما عنيفا، وبأسلوب غير لائق بحال، مشنعا على القرضاوي في كل مجلس مع أن القرضاوي سعى لاستقدامه إلى قطر، ثم ضمه إلى هيئة تدريس كلية الشريعة، مع إيذائه المستمر له [اثني عشر عاما تقريباً]، ولكن قد نسي أحمد محمد ما كان بينه وبين إخوته من مودة صادقة.

هنا لابد أن نعترف بحلم القرضاوي بأنه كتب "الأخ"، مع اسم أحمد محمد، ثم لا يتهمه بل يقول فقط:

"سامحه الله، وسامحني معه؛ فهو لم يكن سيئ القصد، بل كان سيئ التصور، واستمع إلى بعض الوشاة الكاذبين الذين أوغروا صدره عليّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهب أنني أخطأت في حقه، أو أخطأ العسال أو عبد الودود، فهل يقابل ذلك بأن يفقد إخوانه ويقطعهم ويهاجمهم، ويعاملهم على أنهم أعداء؟ وهل يقطع حبل الأخوة والصداقة الطويلة بهذه السهولة؟!" [١١٨]

تتبع النشاط الثقافي في القاهرة:

كان القرضاوي وأصدقاؤه يتتبعون النشاط الثقافي ويبحثون عنه ليغترفوا من معينه حيثما وجدوه، ليتعلموا من شيوخ العلم، ورواد الفكر، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. وكان من المواد العذبة في تلك الفترة: محاضرات دارالحكمة في تفسير القرآن الكريم. وقد استفادوا بهذه المحاضرات من رجال

---

[١١٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤١٤

[١١٨] المصدر السابق، ص ٤١٤

العلم المشاهير في ذلك الوقت ومنهم: الفقيه المفسر الشهير الشيخ عبدالوهاب، والأستاذ عبدالوهاب حمودة، أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب.

وكانوا يذهبون إلى استماع المحاضرات التي تلقى بجمعية الشبان المسلمين، أو الندوات التي تقام بها نصرة لبعض القضايا الإسلامية نحو "كشمير المحتلة". وكانوا يصلون الجمعة وراء العالم الأديب الشهير الشيخ أحمد الشرباصي، يستمتعوا بسماع خطبته، وهي قطعة من الأدب الديني، الذي يخاطب العقل والوجدان.

ثقة الشيخ محمود شلتوت بالقرضاوي:

كان الشيخ شلتوت يحضر درسه التفسيري تحضيرا جيداً. وكانت له نظرات ووقفات تأملية في كتاب الله، أودعها بعد ذلك في مقالاته التي نشرها في مجلة "رسالة الإسلام" بالقاهرة. ثم خرجت بعد ذلك في كتاب في تفسير حول العشرة الأجزاء الأولى. قد كلف الشيخ شلتوت القرضاوي وصديقه أحمد العسال بنقلها من المجلة لتأخذ صورة الكتاب، وأذن للقرضاوي بأن يملأ الفجوات التي يراها بقلمه وأسلوبه الخاص، ثقة منه بالقرضاوي.

المعارك بالقلم:

ذكر القرضاوي بالتفصيل عن بعض المعارك بالقلم في تلك الفترة. قد كان قلم الشيخ الغزالي أبرز الأقلام سواء في عرض الدعوة أم في الدفاع عنها. وكان من أشهر المعارك التي خاضتها الغزالي بقلمه، معركة الرد على الشيخ خالد في كتابه الجديد "من هنا نبدأ" الذي أحدث ضجة في المجتمع العربي في ذلك الوقت.

النشاط الإخواني والقرضاوي:

ولقد خرج الإخوان من معتقلاتهم أشد عزما، وأقوى إصرارا على دعوتهم، واستمساكا بعروتها الوثقى، ونشاطا في سبيلها. وكانت هذه الفترة من أخصب الفترات في تاريخ الدعوة.

وكان من أهم جولات النشاط العلني الذي قام القرضاوي به في هذه الفتره، تأييد مرشحي الإخوان في الإنتخابات، وكان ذلك لغاية مهمة، وهي أن الانتخابات تتح لهم - رسميا- الحديث عن الدعوة وأهدافها ومنجزاتها ومستقبلها، وإن لم يكن لديهم أمل في النجاح. وقد جرت الانتخابات بعد أيام قليلة، و لم ينجح أي مرشح من الإخوان، فالانتخابات فن لم يتقنه الإخوان بعد، ويحتاج إلى تهيئة وإعداد طويل.

لقاء القرضاوي مع الشيخ أبي الحسن علي الندوي:

ذكر القرضاوي زيارة الشيخ أبي الحسن علي الندوي لمصر التي كانت الأولى والأخيرة في يناير سنة ألف تسعمائة واحد وخمسين ميلادية. كان القرضاوي وقتها طالباً في كلية أصول الدين، مسئولاً من طلبة الإخوان في جامعة الأزهر. قد قرأ كتابه "ماذا خسرالعالم بانحطاط المسلمين" وأعجب به، وإن كان لا يعرف عن صاحبه شيئاً إلا أنه عالم هندي مسلم، وذهب القرضاوي لزيارة الشيخ في مسكنه مع أصدقائه واستفاد من لقائه.

المشكلات الاقتصادية وحلها:

كانت نفقات الحياة بالقاهرة كثيرة: السكن والمعيشة والتنقل والملبس، والكتب وغيرها، وما كان للقرضاوي مورد يغطي هذه التكاليف، فلهذا فكر في أن يعمل خطيباً بأحد المساجد الأهلية، ويأخذ مكافأة تكفيه، فقد صار خطيباً في مسجد آل طه في المحلة الكبرى. وقدروا للقرضاوي عشرة جنيهات كل شهر، حلوا بها مشكلته الاقتصادية.

ومع ذلك كان مسجد آل طه مصدر إشعاع وإحياء، وكانت سنوات حافلة بالنشاط والعطاء وكان من بواعث إنعاش الإخوان ونموهم في منطقة المحلة وما حولها وظهور عدد من الدعاة الشباب، ومن هؤلآء الشباب، محمد حوطر التزم أن يكتب خطب القرضاوي كل جمعة بقلمه الرصاص، وقد قرأ القرضاوي ما كتبه فأعجب به حتى شجع أن يصدره في صورة "ديوان خطب منبرية" باسم" نفحات الجمعة" بعد تحسين وتجويد صياغته، ثم كتب القرضاوي رسالة مبسطة "قطوف دانية من الكتاب والسنة" تتضمن أحاديث نبوية مرتبطة بالآيات القرآنية على طلب من

الإخوان، قد طبعت هذه الرسالة ونشرت أكثر من مرة وقد شجعت القرضاوي هذه الرسالة أن يمسلك بالقلم ليكتب، وكان نهجه السابق أن يقتصر على استخدام اللسان.

معارك القناة مع الاحتلال البريطانية والقرضاوي:

في هذه الآونة سنة ألف تسعمائة واحد وخمسين ميلادية ألغت حكومة الوفد معاهدة سنة ألف تسعمائة ستة وثلاثين ميلادية مع الإنجليز. وكان الغاء المعاهدة بداية لمرحلة جديدة من مراحل الجهاد ضد الاحتلال البريطاني الذي طال أمده، وكان لجماعة الإخوان القدحُ المعلى في هذا الجهاد، وخصوصا بين شباب الجامعات في مصر.

فقامت معسكرات التدريب في الجامعات، وكان الإخوان هم قادة هذه المسيرة. وقد أقاموا طلاب الأزهر معسكرات الشباب الأزهر، بجوار الجامع الأزهر هناك، وقد هيأ المعسكر عددا من الشباب الذي أخذ نصيبا كافيا من التدريب، يسافر إلى الشرقية قريباً من القناة، يستكمل تدريبه، وفق أوامر القادة في الميدان. وقد أراد زعماء الطلاب أن تكون هذه مناسبة طيبة لإبراز مكانة الأزهر ودوره في هذه المرحلة الحساسة من حياة مصر. ودعوا عددا من كبار الشيوخ في الأزهر والدعاة من خارج الأزهر. سنحت للقرضاوي الفرصة أن يقدم لإلقاء كلمة المعسكر وشباب الأزهر، فارتجل كلمة قوية، ختمها بقصيدة نظمها بهذه المناسبة، يذكر منها:

" دع المداد وسطر بالدم القاني

وأسكت الفم، واخطب بالفم الثاني

فم المدافع في صدر العداة له

من الفصاحة ما يزري بسحبان " [١١٩]

بعد ذلك سافر القرضاوي مع الكتيبة إلى منطقة "تل بسطة" صالحة تماما للتدريب. هنا تدربوا على استخدام القنابل الشديدة الانفجار، استخداما فعليا، كما تدربوا على "التهديف" وغيره.

[١١٩] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٥٠

وكان من مدربي هذا المعسكر شاب فلسطيني متحمس في كلية الهندسة، اسمه "ياسر". وهو ياسرعرفات. قد تعرف القرضاوي عدد من الإخوة الذين جاءوا من أوطانهم يدرسون في الأزهر الشريف في فترة الدراسة في الكلية وكان على وثيقة بعدد منهم.

رحلات القرضاوي إلى بلاد الشام:

في أوائل شهر أغسطس سنة ألف تسعمائة اثنتا وخمسين ميلادية جاء القرضاوي أمر من الأستاذ الهضيبي، المرشد العام أن يتهيأ لرحلة إلى بلاد الشام، مع الأستاذ محمد علي سليم من إخوان الشرقية، توثيقاً للصلة بالإخوة هناك، وتعميقا للتربية عندهم، فقد رحب بها كل الترحيب، لأن السفر نصف العلم، والذي يعيش يرى كثيرا ولكن الذي يسافر يرى أكثر. فلهذا استبشر القرضاوي بهذه الرحلة ليرى فيها الدنيا والناس ويتعلم من الحياة لا من الكتب وحدها، وتظهرلنا فرحة القرضاوي بنسبة هذه الرحلة في الأسطر التالية:

"وفيها كانت لي هناك أوليات شتى: فهي أول مرة أستخرج فيها جواز سفر، وأول مرة أركب فيها الباخرة إلى خارج مصر، فقد ركبت الباخرة"عايدة" إلى الطور، وأول مرة أركب فيها الطائرة عائدا إلى مصر من عمان، وأول مرة ألبس فيها قميصا وبنطلونا، وأول مرة: أضطر للتعامل مع إخواني باسم غير اسمي، وأول مرة أحمل فيها نقدا غير العملة المصرية، وأتعامل به... إلى آخره." [١٢٠]

قد لقي القرضاوي عدداً من الناس في بلاد الشام نحو الإسكندرية، والبيروت، ودمشق، وحمص، وحماة، وعمّان، والخليل، ونابلس وحنين، والقدس الشريف، ورأى الألوان المختلفة المبثوثة في بلاد الشام وأقام بالتوجيه الروحي والثقافي في المعسكر في عمان وشارك الشباب في تدريباتهم الرياضية وصلى في المسجد الأقصى لأول مرة في حياته. قد تعلم القرضاوي من هذه الرحلات كثيراً.

تطواف مدن الصعيد:

بدأت الخلافات تتسع بين الإخوان والثورة، ولاسيما عندما أرادت أن يكون لها حزب يمثلها، فبدأوا بإنشاء "هيئة التحرير" وأنشووا لها فروعا في كل العوصم والمراكز، حتى بعض القرى، وبدأ

[١٢٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٦٣

شباب "هيئة التحرير" يحتكون بشباب الإخوان، ولكن كان الإخوان حريصين على عدم الاصطدام بالهيئة الوليدة، وكانت هذه تعليمات المرشد العام. كلف الأستاذ الهضيبي القرضاوي بتطواف مدن الصعيد في توعية الإخوان، وتوجيههم للشباب على دعوتهم، وتجنب الصدام مع الآخرين. قد طاف القرضاوي من الصعيد وخصوصاً عواصم المديريات كما مر ببعض المدن المهمة. وكان له بكل هذه المدن محاضرات عامه ودروس ولقاءات خاصة بنواب الشعب وبالطلاب وبغيرهم، لإبلاغهم تعليمات المرشد العام. وقد تعرف على عدد غير قليل في كل بلد، جمعوا بهم السجن الحربي بعد ذلك، كانت هذه الزيارة في أوائل الشتاء، فكانت ملائمة جدا.

وكان للقرضاوي زيارة أخرى للصعيد في مقدم الصيف، بطلب من إخوان الصعيد أنفسهم، وهنا عرف جوالصعيد الحار، ولكن كان في عصر الشباب لا يبالي بحرارة ولابرودة، مع الحماسة للدعوة والاستغراق في آمال مستقبلها، وهموم حاضرها، فتكاد الفصول تستوي عنده.

وكان للقرضاوي في كل مدن الصعيد المهمة محاضرات ودروس عامة، ولقاءات وجلسات خاصة، وكان لها أثرها الطيب في أنفس الإخوان، كما تركت في نفس القرضاوي ذكريات حسنة.

امتحان الشهادة العالمية:

كان من أهم الوقائع التي وقعت للقرضاوي في تلك المرحلة: امتحان الشهادة العالمية، التي تختم بها الكلية، وبها يصبح الطالب أحد علماء الأزهر، ويستحق رسميا لقب "الشيخ" ويكتب له في شهادته.

وكان القرضاوي برغم انشغاله بالدعوة وأنشطتها المتنوعة بالقاهرة، وبجامع آل طه بالمحلة الكبرى، حريصا على التفوق في الدراسة. وقد استعد للأولية بما يسره الله له ووفقه إليه من الاستذكار ومن المراجعة ولكن كان يخاف من "الامتحان الشفهي" وخصوصاً امتحان "التعيين". على الرغم من خوفه قد نجح في الامتحان الشفهي، في المنطق، والفلسفة، واللغة الإنجليزية وحصل على الدرجات المتفوقة، وإن كان ضاعت وتبخرت من ذاكرته اللغة الإنجليزية تقريباً بعد ذلك، نتيجة الإهمال وعدم الاستعمال، ولأنه تعلمها على كبر، والتعليم في الصغر كالنقش في الحجر كما قيل.

امتحان التعيين والقرآن:

كان امتحان التعيين في مادتين أساسيتين: التفسير والتوحيد. ومعني التعيين: أن يعيّن للطالب موضوع معين أو فقره معينة من المقرر، وعليه أن يراجعها فيما شاء من مراجع، فقد يسأل في النحو أو الصرف أوالبلاغة أو المنطق، أو الحديث أو الفقه، أو ما شآء الممتحن أن يسأله، وعليه أن يجيب في كل ما يسأل عنه، فكأن هذا التعيين امتحان عام لمدى تحصيل الطالب العلمي خلال سني دراسة كلها، وكانت لجنة التعيين تمتحن الطالب أيضاً في القرآن الكريم، وعلى الرغم من خوف القرضاوي من هذا الامتحان، كان التوفيق حليف القرضاوي في إجاباته، كأنه يغرف من بحر، أو يتدفق من سيل، وذلك من فضل الله وعونه. وقد خرج من اللجنة، باسم الثغر، منشرح الصدر، مستبشرا بهذه الآية التي ختم بها الامتحان كله:

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [١٢١]

وقفة مع مناهج كلية أصول الدين:

لقد اختار القرضاوي كلية أصول الدين، لأنها تضم العلوم النقلية والعقلية، ولها في مناهجها من تنوع تثري به معارف الطالب، وتتسع مداركه وآفاقه. وكانت المواد تشتمل على علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم التوحيد، وعلم مقارنة الأديان، والفلسفة الإسلامية، وعلم التاريخ، وعلم التصوف وغيرها. قد لاحظ القرضاوي بعض الملاحظات العامة والأساسية على طريقة التدريس في كلية أصول الدين. ونبذة عن هذه الملاحظات هي كما يلي:

"فقد وجدت أن طريقة التدريس في الكلية هي نفس طريقة التدريس في المعاهد الثانوية، العمدة فيه كتاب مقرر يشرحه الأستاذ، وتدور طريقة الشرح حول الألفاظ، أكثر مما تدور حول المعاني والأفكار، وكثيرا ما يكون الامتحان فيما قرئ من الكتاب، لا فيما هو مقرر فعلا. وبهذا يضيع على الطالب فقرات كبيرة من المقررات ربما لا يعوضها قط. لم تكن كليات الأزهر، مثل كليات الجامعة في مصر وفي غيرها، تعتمد على الموضوع لا على الكتاب، وتدور على المعنى لا على

[١٢١] القرآن الكريم، سورة الصف، آية ١٣

اللفظ، وتشرك الطالب مع الأستاذ، وتهتم بالبحث يقوم به الأساتذة، ويتعوده الطلاب. لم يكن هناك فرق بين المعهد والكلية إلا أن الكتاب في الكلية أكبر كما، وأكثر تعقيدا، وهذا ليس فرقا مؤثرا، ولو طعّم النظام القديم والطريقة الأزهرية، ببعض هذه التوجيهات الجامعية الحديثة لكان في ذلك خير كثير على الأزهر وأبنائه." [١٢٢]

الملاحظات العامة ورأيي في شخصية القرضاوي من خلال فترة الشباب

شعرت من خلال دراسة شباب الدكتور يوسف القرضاوي بأنه وقف ساعات شبابه للدعوة إلى الإسلام، فقد غلب على شخصيته لون الدعوة أكثر من جميع الألوان الأخرى. كان لا يبالي التعب والمشقة في سبيل الإسلام، وتحمل صعوبة الاعتقال بصبر جميل. فما ذكر آلام الاعتقال بالتفصيل، بل صور لنا تلك الأيام مليئة بالسعادة لأنه انتهز الفرصة للاستفادة من معية الصالحين؛ بسبب أن الإخوان حولوا معتقلهم إلى الجامعة، والجمعية، والمنتدى.

أرى القرضاوي طالباً ذكياً، ومجتهداً يفكر في المسائل، ويحاول أن يفهم ويناقش، ولا يأخذ كل شيء قضية مسلمة. كان يريد أن يثقف نفسه؛ فشارك في مجالس روحانية مع الأستاذ الكبير الشيخ البهي الخولي، وكان يتتبع النشاط الثقافي في القاهرة ويبحث عنه ليغترف من معينه حيثما وجد ليتعلم من شيوخ العلم، ورواد الفكر ما وجد إلى ذلك سبيلا.

تظهر شخصية القرضاوي كشاب قوي، وقانع، وصابر الذي لا يحب المادية؛ فلا يشكو لقلة وسائله وضيق معيشته. كان حياءه أقوى من حاجاته، فما سأل الناس إلحافاً ولو كان شديد الجوع ومضطرباً جداً، بل توكل على الله فهو حسبه. ومع ذلك له طموحات كبيرة، وأرى عنده ثقة بنفسه، هوشاب متحمس و قوي العزم؛ فتحمل تكاليف الطبع لمسرحيته الأولى، وبحث عن الوسائل وإن كان دون النقود، وهذا جيد جداً.

---

[١٢٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص ٤٩٥-٤٩٦

والقرضاوي يتعامل معاملة حسن الظن مع الآخرين، ولا يتهم أي أحد، هو حليم الطبع، فلا يستشاط غضبا ولا يثور على الآخرين حتى يعفو عمن ظلمه. يحب القرضاوي العدل والتوسط، ويقول كلمة الحق ولو يكلم عن الذين خاصموه في حين من الأحيان.

أرى لون التمني في شخصيته ولكن تمنياته في سبيل التعليم والتعلم، ولا يجري خلف زينة الحياة الدنيا. أحس بإخلاصه للأمة الإسلامية عندما يشير إلى خطر الأعداء وضعف المسلمين، وينصحهم أن يعدوا لأعدائهم إعدادا جيداً ويحاربوهم بطريقة استراتيجية. وله نظرة نقدية؛ فينقد المناهج التعليمية في المعاهد والأزهر وينقد الإخوان المسلمين؛ لأن الدين هو النصيحة.

الفصل الثالث

دراسة فنية لسيرة الدكتور يوسف القرضاوي الذاتية

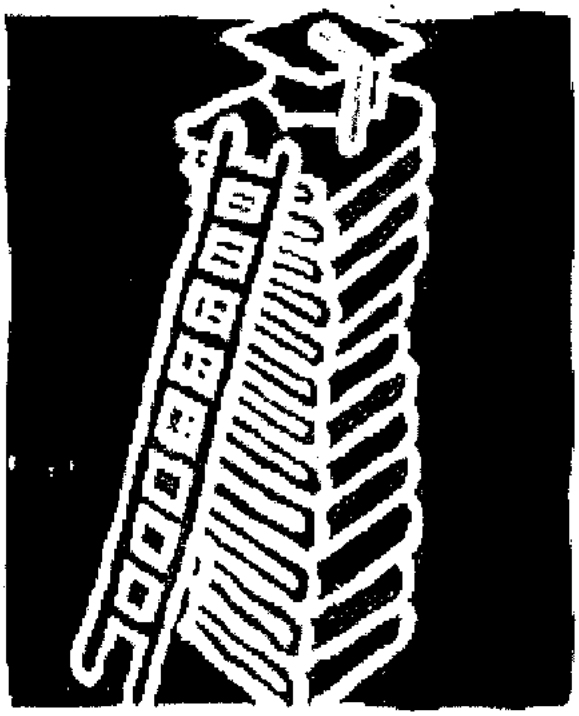

الفصل الثالث

دراسة فنية لسيرة الدكتور يوسف القرضاوي

يمتاز الدكتور يوسف القرضاوي بأسلوب جذاب راق، والكتابة عنده الأدبية مطبوعة فيه، وملكة مودعة في ذاته؛ لأنه نشأ في بيئة سامية راقية. شعرت من خلال دراسة سيرته الذاتية بأن له أذناً داخلية تسمع بينما ينسج أدبه، ويسمع كل حركة وكل حرف، ويقارن بين هذه الحركات والحروف، ويقدم لنا منها اللآلي الثمينة والجواهر الكريمة.

سأتناول في هذا الفصل ما تتسم به سيرة الدكتور يوسف القرضاوي الذاتية من سمات فنية نحو: العاطفة، والخيال، والبناء، واللغة والأسلوب.

العاطفة:

تعد العاطفة عنصراً هاماً من عناصر الأدب وهي الحالة الوجدانية التي تمنح الأدب صفة البقاء والخلود. "لم يعرف العرب كلمة العاطفة، فهي من مصطلحات علم النفس الحديث ولكنهم عرفوا حقيقتها ومدلولها وسموها "قواعد الشعر".[١٢٣]

أحاول أن أبيّن معنى العاطفة جيداً من العبارة التالية:

"والعاطفة في الأدب هي أداته، فالأدب ينتج عن شعور الكاتب وانفعاله ويثير شعور القارئ، ويسجل أدق الحياة وأعمقها، فالعاطفة بالنسبة للأديب هي مبعث خواطره وشاحذ لإنتاجه، وهي للقارئ الصدى الذي يفجر في نفسه المشاعر، وهي للإنتاج الأدبي رائحته العطرة وبريقة الأخاذ، فما لا يصدر عن عاطفة ولا يثير عاطفة لا يسمى أدباً. وتظل العاطفة إحساساً رغم أنها تحمل على أجنحة العناصر الأخرى من المعاني والخيال والصور والكلمات."[١٢٤]

---

[١٢٣] "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحمي،،الجزء الأول، ط٢، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٠٠

[١٢٤] "فصول في النقد الأدبي وتاريخه"، للدكتور ضياء الصديقي والدكتور عباس محجوب، دارالوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة،ط١، ١٩٨٩م، ص٢١-٢٢

يمكننا أن نقيس العاطفة الأدبية بمقاييس الصدق والحيوية، والثبات والاستمرار، والتنوع، والسمو في سيرة الدكتور القرضاوي الذاتية.

نرى ألوان العاطفة منذ بداية السيرة إلى نهايتها. يذكر الدكتور كرامة وعراقة قريته بوجود قبر الصحابي الجليل سيدنا عبدالله بن الحارث الزبيدي بعاطفة دينية حيث يقول في مديح هذا الصحابي:

وأسلم أهل صفط على يديكم

ودانوكم بصهر واقتراب

وعشت بها، ومت بها، هنيئا

لها بك من جوارمستطاب

وحق لصفطنا بك أن تسمى

بصفط التبر لا صفط التراب[١٢٥]

وعند ذكر فتح مصر في عهد أميرالمؤمنين سيدنا عمربن الخطاب يشير إلى فكرة جميلة تدل على سمو العاطفة، فيقول:

"لم يفتح الإسلام- في الواقع- مصر بالسيف، إنما فتحها بإقامة العدل ونشر مبادئ الحق والخير. على أن السيف قد يفتح أرضاً، ولكنه لا يفتح قلباً، إنما تفتح القلوب بالدعوة والحكمة والحوار، بالتي هي أحسن، وبالأسوة الحسنة."[١٢٦]

هناك أمثلة عديدة لسمو العاطفة التي تثير فينا انفعالاً وميلاً إلى الحياة الراقية، من الصعب إحصاؤها ولكن أذكر بعضها في الأسطر التالية:

يذكر الدكتور ما قام به الإخوان في معتقل الطور بطريقة جذابة حيث يقول:

---

[١٢٥] "ابن القرية والكتاب"، للدكتور القرضاوي، الجزء الأول، ص١٩

[١٢٦] المصدرالسابق ص١٧

"ليت شعري هل ترى حياة أطيب وأمثل من هذه الحياة؟ وهل ترى مجتمعا أرقى وأتقى من هذا المجتمع؟ وهل ترى يوما حافلا بكل ألوان الحق والخير والجمال والمثالية مثل أيام المعتقلين في الطور؟"[١٢٧]

وعندما يقارن بين حياة الإخوان وحياة الشيوعيين في المعتقل يقدم لنا فكرة جميلة تظهر فيها أشعة الإيمان، فيقول:

"إن المؤمن إذا ضاقت به الدنيا، اتجه إلى ربه الذي خلقه وسواه، يدعوه ويتضرع إليه... ولكن الشيوعي القح، الذي يجحد كل ما وراء الحس وما بعد الطبيعة، ويعيش سجين الفكرة المادية الجدلية أو المادة التاريخية، إلى من يلوذ؟ وبمن يعوذ؟ وبأي جبل يعتصم؟ وبأي ركن يرتكن؟"[١٢٨]

وهكذا نرى لون سمو العاطفة في سيرة الذاتية لعبد الحميد جودة السحار، الذي يبرز أحاسيسه عند توزيع الميداليات بعد مباراة في لعب الكرة حيث يخبرنا:

"ووزعت علينا الميداليات، فأخذت ميداليتي ولم أكترث بها، فالزمن كفيل بأن يسحب ستائر النسيان على كل شيء. إنها بعد أيام لن تزيد على قطعة من المعدن حفر فيها ما يحفر على شواهد القبور، فأنا على الرغم من مرحي لا أفرح بما يأتيني ولا أحزن على ما يفوتني؛ فما الدنيا إلا ممر إلى مقر، فالسعيد حقا من أخذ من ممره لمقره، وما من أحد أخذ معه جوائزه أو ما في الأرض من حطام."[١٢٩]

اشتغل الدكتور يوسف القرضاوي منذ فجر شبابه بإضاءة شموع الحق ولو كره الناس. انظر قوة العاطفة وحيويتها في رأيه في تصرف "الأقطاب الأربعة" في هذه الأرض:

"وهي بالقطع خرافة لا أساس لها من دين الإسلام، وهي تنافي عقيدة التوحيد، التي جعلت الأمر كله لله، فلا يملك نبي ولا ولي أن يتصرف في الكون في حياته فما بالك بعد مماته؟"[١٣٠]

---

[١٢٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٣٦٨

[١٢٨] المصدر السابق، ص٣٧١-٣٧٢

[١٢٩] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٢٧٥

[١٣٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٣٢

نشعر بالعاطفة القوية في عقيدة تسلط الجن على الإنسان حتى نكاد نقتنع بصواب رأيه، وذلك حين يقول:

"وإني لأعجب حقاً، كيف يسلط الله الجني على الإنسان إلى هذا الحد، الذي يتحكم فيه، ويدخل في بدنه، ويتصرف فيه، وينطق على لسانه، ويصبح الإنسان مسخراً له؟ فأين كرامة الآدمي؟"[١٣١]

ونأخذ مثال لقوة العاطفة من الدكتور طه حسين إذ يذكر كيفية حزينة للصبي الذي فقد عينيه فيما كان يجلس إلى العشاء "فأخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأما إخوته فأغرقوا في الضحك وأما أمه فأجهشت بالبكاء، وقال له أبوه في صوت هادئ حزين: ما هكذا تؤخذ اللقمه يا بنيّ- وأما هو فلم يعرف كيف قضى ليلته. من ذاك الوقت تقيدت حركاته بشيء من الرزانة والإشفاق والحياء لا حد له، ومن ذلك الوقت عرف لنفسه إرادة قوية."[١٣٢]

نحس بأن الدكتور القرضاوي قوي الشعور، مرهف الحس، يستطيع أن يثير الآخرين، حينما يبين لنا الجانب الاجتماعي في القرية يملأ قلوبنا بالإحساس بالظلم والحزن إزاء بعض التجاوزات إذ يقول:

"ولا أدري على أي أساس تمت ملكية الأراضي في مصر، وكيف حدث هذا التوزيع الجائر الذي جعل بعض الناس يملكون آلاف الأفدنة، وهم لا يعملون، وجعل الآخرين يعملون ليلاً ونهاراً، وهم لا يملكون... ومن المؤسف حقاً، أن يكون الشيوعيون والماركسيون هم الذين يثيرون قضية فقدان العدالة في توزيع الثروة بين الطبقات."[١٣٣]

ومن منا ينكر حرارة العاطفة وشدة تمثله حين يسمع الدكتور القرضاوي وهو يتحدث عن "الإقطاعين" من كبار ملاك الأراضي في مصر:

---

[١٣١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٤٧

[١٣٢] "الأيام" للدكتور طه حسين، الجزء الأول، دارالكتب اللبناني-بيروت(ب-ت)، ص٢٢-٢٣

[١٣٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الاول، ص٦٢

"وكانوا قساة على الفلاحين، لا يرحمونهم ولا يخشون الله فيهم، فهم عندهم بمثابة الماشية التي تدير سواقيهم أو تجر محاريثهم أو "نوارجهم"، ويرى أي فتاة جميلة في القرية أو العزبة كأنها جارية له، لا يجوز لأب ولا لأخ أن يمنعها منه إذا أراد. ولكن هؤلاء الوحوش الآدمية التي تستر وحشيتها وأنيابها ومخالبها، بالثياب الفاخرة، والقصور الزاهرة، والألقاب الباهرة، لم يكونوا ليمثلوا في الإقطاعين الزراعيين إلا قلة محدودة؛ إذ كانت الأكثرية من هؤلاء تتمتع بكثير من الأخلاق والقيم الأصيلة المتوارثة."[١٣٤]

نجد عند الدكتور القرضاوي تنوع العاطفة نحو الخوف والشجاعة، والحزن والفرح، والحب والكره والتواضع والفخر وما إلى ذلك. سأحاول فيما يلي أن أذكر بعض الأمثلة بالاختصار:

- عاطفة الخوف في أيام الدراسة الابتدائية:

"ويقول أهل حارتنا: إن هذه الجنية (أم جلاجل) ظهرت بالليل لفلان وفلان! وهذا ما جعلني من بعد صلاة المغرب عندما أمر على هذه المدرسة أركض ركضا، وأجري كالريح خوفا من أن تطلع عليّ أم جلاجل."[١٣٥]

ونرى نفس العاطفة في سيرة عبد الحميد جودة السحارإذ يذكر يوماً من أيام طفولته، وكان يرجع إلى حارته وحيداً، وجاء في ذهنه أن عفريت الشيخة قد يظهر له:

"وفجأة قرع أذني وقع حوافر الأرض، كان الصوت آتيا من خلفي، فشعرت كأن قلبي يكاد أن يفر من صدري. ودنا مني الصوت فخيل إلي أن عفريت الشيخة قد ظهر على هيئة جدي وأنه في أثري لينطحني. وهممت بالجرى ولكن قدمي تسمرتا في الأرض، وسرت في جسدي رعدة، وخفق قلبي في شدة، وأصابني دوار وكدت أموت من الخوف."[١٣٦]

- وتظهر لنا عاطفة الشجاعة عند الدكتور يوسف القرضاوي في إظهار كلمة الحق أمام أستاذه الذي هاجم الإمام حسن البنا بعنف في الفصل بعد استشهاده رحمه الله:

---

[١٣٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٦٩

[١٣٥] المصدرالسابق ص٣٨

[١٣٦] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص١٩

"وهنا قلت للشيخ: يا مولانا هذا رجل أفضى إلى ربه، وقد نهينا عن سب الموتى، وما ذنب حسن البنا إذ اختار أحد تلاميذه رأياً يخالف رأي فضيلتك أو رأي الجمهور؟"[١٣٧]

وهكذا نرى عاطفة الشجاعة الجياشة عند الدكتور طه حسين في تعامله مع الأستاذ الذي احتقره، فرد عليه بشجاعة:

"ولكنه في ذات يوم جادل الشيخ في بعض ما كان يقول فلما طال الجدال غضب الشيخ وقال للفتى في حدة ساخرة: "أسكت يا أعمى ما أنت وذاك!" فغضب الفتى وأجاب الشيخ في حدة: "إن طول اللسان لم يثبت قط حقاً ولم يمح باطلا". فوجم الشيخ ووجم الطلاب لحظة، ثم قال الشيخ لطلابه: "إنصرفوا اليوم فهذا يكفي".[١٣٨]

- وقد ظهرت عاطفة الحزن عند القرضاوي حين امتلأ قلبه حزنا على اغتيال الشيخ حسن البنا حيث يقول:

"في يوم ١٣ من فبراير سنة١٩٤٩م خرجنا من سجن القسم الأول بطنطا، لنرى الشمس ساطعة بعد أن غابت عنا هذه الفترة الطويلة، ولكن هذه الشمس سرعان ما أظلمت في وجوهنا حين طالعنا الصحف التي حجبت عنا لهذه المدة، ووجدنا عناوينها الرئيسة تحمل هذا النبأ المفجع: اغتيال حسن البنا... ضاقت الدنيا في أعيننا، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علينا أنفسنا، وظننا أن لا ملجأ من الله إلا إليه... وهكذا قتلوه أكثر من مرة: قتلوه بإطلاق الرصاص الآثم، وقتلوه بترك الإسعاف المعتمد، وقتلوه بمنع تشييعه والصلاة عليه، والعزاء فيه، وذلك كله ليتضاعف أجره ومثوبته، ويعلو مقامه عند الله." [١٣٩]

وانظر إلى عاطفة الحزن الشديد عند أحمد أمين إذ حجب عينيه العمى، وحرم من قراءة الكتب وكان يظن أن حياته كلها قراءة وكتابة، فيقول:

"وأدخل المكتبة لذكرى الماضي فيزيد ألمي. غذاء شهي وجوع مفرط، وقد حيل بين الجائع وغذائه. وأتساءل: هل يعود نظري كما كان فاستفيد منها كما كنت أستفيد؟ وهذه الآلاف من

---

[١٣٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الاول، ص٤٩١.

[١٣٨] "الأيام" للدكتور طه حسين، الجزء الثاني، ص١٥٣

[١٣٩] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٣٤٥-٣٤٦

الكتب آلاف من الأصدقاء، لكل صديق طعمه ولونه وطرافة حديثه، وقد كان كل يمدني بالحديث الذي يحسن حين أشير إليه، فاليوم أراهم ولا أسمع حديثهم، ويمدون إليّ أيديهم ولا أستطيع أن أمد إليهم يدي."[١٤٠]

- ونجد عاطفة الفرح عند الدكتور القرضاوي عند لقاء الإمام الغزالي أول مرة، وكان يركب الباخرة إلى معتقل "هايكتسب":

"وكانت فرحتي لا تقدر، حين علمت أن الشيخ الغزالي معنا.هذا الشيخ قرأت له وأحببته من بعيد، فها أنذا اليوم أراه وجها لوجه، فالحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، فهذه أولى ثمرات هذه المحنة، التي نرجو أن تكون منحة، بفضل الله تعالى."[١٤١]

ويصور لنا عبد الحميد جودة السحار كيفية فرحه إذ ذهب ليصطاد أول مرة، فيقول:

"وبعد محاولات دخلت سمكة صغيرة إلى الزجاجة فكدت أطير من الفرح؛ إنها أول سمكة أصطادها في حياتي وإنها للذة كبرى أن يجني المرء ثمار جهده."[١٤٢]

- وعاطفة الحب في علاقة الدكتور يوسف القرضاوي مع محمد مراد الدمرداش كانت قوية جداً، فيقول:

"وقد وجدت في الدمرداش الصديق الصدوق، والأخ الشقيق للروح، الذي قال فيه المثل: ربّ أخ لك لم تلده أمك!"[١٤٣]

ووجدت تقريباً نفس القوة لعاطفة الحب بين الدكتور طه حسين وأحمد أمين في السيرة الذاتية لأحمد أمين، الذي يقول:

"كان يحبني وأحبه، ويقدرني وأقدره، ويطلعني على أخص أسراره وأطلعه، وأعرف حركاته وسكناته ويعرفها عني، ويشاركني في سروري وأحزاني وأشاركه، وكنت هواه وكان هواي،

---

[١٤٠] "حياتي" لأحمد أمين، ص٢٨٠

[١٤١] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الاول، ص٣٥٨

[١٤٢] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٦٢

[١٤٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الاول، ص١٩٤

واستفدت من مصادقته كثيرا من معارفه وفنه ووجهات نظره، سواء وافقته أو خالفته، فأصبح يكون جزءاً من نفسي ويملأ جانباً من تفكيري ومشاعري."[١٤٤]

- وعاطفة كراهية الظلم تظهر في موقف الدكتور يوسف القرضاوي حين ضرب التلاميذ جميعاً لتنشيطهم في الكتاتيب، فقرّر أنه لن يذهب إلى كتاب شيخ يماني مراد:

"فكنت بالطبع من المضروبين، فعزّ علي أن أضرب ظلماً وبلا سبب، وفي أول قدومي، ورفضت أن أعود إلى هذا الكتاب مرة أخرى... وهذا الظلم الذي وقع عليّ جعلني أنقطع عن الذهاب إلى أي كتاب مدة من الزمن."[١٤٥]

وكره عبد الحميد جودة السحار أيضاً ضرب الأولاد، فلما مات السلطان حسين كامل وكانت فرصة للطلاب ليأخذوا إجازة من مدارسهم، فما تظاهروا بالحزن على موت السلطان، بل صاحوا في فرح:

"- بكرة إجازة .. بكرة إجازة.. الله يخلّي السلطان!

وتمنينا من قلوبنا الصغيرة لو يموت كل يوم سلطان لنفر من قسوة أساتذتنا الذين كانوا يتفننون في ضربنا، كأنما كانت لذتهم الكبرى أن يرونا ونحن نتلوى من الألم والدموع تظفر من مآقينا."[١٤٦]

وشعرت بعاطفة التواضع والحياء في تعامل الدكتور القرضاوي مع الإخوان في كفر الشيخ الذين طلبوه لخطبة الجمعة في أحد البلاد هناك، ثم نسوا أنه كان طالب العلم و ليس موظفاً، وما دفعوا له نفقات الرحلة. وعند العودة منعه الحياء أن يخبر الإخوان في مدينة المحلة أنه لم يفطر لأن الحياء من صفات النبي صلى الله عليه واله وسلم المميزة فيعلن بالعاطفة الجياشة أن:

"هذا الخلق المحمدي هو الذي حال بيني وبين مصارحة الإخوة بأني خالي البطن بعد يوم حافل بوعثاء السفر، وشدة الحر، ومتاعب الطريق، وهو الذي منعني أن أطلب من مرافقي في كفر الشيخ أن يقطع لي هو تذكرة السفر من سخا إلى المحلة كما تقتضيه الأصول، حتى لا أظهر بمظهر من

---

[١٤٤] "حياتي" للدكتور أحمد أمين، ص٢٥١

[١٤٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول ص١١٩

[١٤٦] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٣٢

يتكسب بالدعوة. وحاولت أن أغلب حيائي وأطلب من الإخوة في شعبة المحلة أجرة السفر إلى صفط -وهي قرشا صاغ- فلم أستطع، وكان حيائي أقوى من حاجتي."[١٤٧]

وتتجلي عاطفة الفخر في مشاعر الدكتور القرضاوي عندما كان أصغر طالب حفظ القرآن في القرية، وحصل على أول جائزة وكانت بعنوان "أحفظ الصبي للقرآن في الغربية"، وبعد أول درس ديني ألقاه في غياب الشيخ عبدالمطلب، يعلق طافحاً بالعواطف:

"وقد كان أثر هذا الدرس طيباً جداً، وهنأني عليه كل من حضره، وبلغ ذلك البتة، فشجعني على ذلك، جزاه الله خيراً. وأصبحت هذه عادة، كلما تأخر الشيخ البتة عن حضور الدرس قدمني أهل المسجد لأحل محله."[١٤٨]

وبالاجمال يمكننا أن نقول إن سيرة الدكتور الذاتية أسهمت بنصيب كبير من العاطفة الصادقة الجياشة المتنوعة، التي تنبعث من أسباب صحيحة غير مزيفة، وهي قادرة على إثارة عواطف صحيحة عند االقارئ، حتى نكاد نشعر بأن الدكتور يوسف القرضاوي لا يكتب إلا بعواطفه ومشاعره وإنفعالاته.

الخيال:

أذكر بعض الآراء المفيدة والمهمة في مصطلح "الخيال" فيما يلي:

يقول صمويل جونسون إن الخيال هو "القدرة التي يستطيع أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص أو يشاهد الوجود"[١٤٩]

وفي رأي الأب لويس شيخو اليسوعي:

"الخيال عند الحكماء قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة... والخيال من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة."[١٥٠]

---

[١٤٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٢٧٧

[١٤٨] المصدر السابق ص١٧٥

[١٤٩] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وكامل المهندس، ص١٦٣

[١٥٠] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" للأب لويس شيخو اليسوعي،الجزء الأول، ط٧، بمطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت، (ب-ت) ص١٠

والأستاذ عبدالعزيز عتيق ينظر إلى الخيال على أنه " قوة تتصرف في المعاني لتنتج منها صوراً بديعة. وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها عن طريق الحس أو الوجدان، فليس في إمكانها أن تبدع شيئا من عناصر لم يسبق للمتخيل معرفتها."[١٥١]

وأقف عند عبارة الأستاذ رشيد البعيدي الرائعة في توضيح "الخيال"، حيث يقول:

"الخيال للأدب كالجناح للطائر فإذا دخل عنصر الخيال في تركيب الكلام صار الكلام رائقاً مؤثراً، كما أن الطائر إذا رفرف بجناحيه ارتقى إلى أجواء عالية."[١٥٢]

إذن أصل إلى نتيجة وهي أن الخيال من العناصر الأساسية لإنتاج أي عمل فني، وهو الذي يصور الأشخاص والأشياء والمعاني، ويمثلها شاخصة أمام القارئ أو السامع لتثير مشاعره. والسيرة الذاتية للدكتور القرضاوي حقل خصب ومورد ثرّ بالأخيلة والصور البيانية، تدل على براعته في التصوير والإيحاء والدلالة على الفكرة والمعنى. ولكي تتضح الصورة أضرب بعض الأمثلة للصور المستخدمة، ويكفيني أن أختار منها بعض الدرر من تشبيهاته الرائعة واستعاراته البارعة في نسق فني جميل كنموذج:

التشبيه:

للتشبيه روعة وجمال في البلاغة، وقد استعمله الفصحاء والبلغاء كثيرا، وهو فيما عرّفه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني: "أن تثبت لهذا معنى ذاك، أو حكماً من أحكامه كإثبات للرجل شجاعة الأسد، أو للحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء."[١٥٣]

---

[١٥١] "في النقد الأدبي" لعبد العزيز عتيق، ص١١٩، أخذت من "فصول في النقد الأدبي وتاريخه" للدكتور ضياء الصديقي والدكتور عباس محجوب، دارالوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٢٩

[١٥٢] "دراسات في النقد الأدبي" للأستاذ رشيد البعيدي، الجزء الثاني، ص ١٦، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٩

[١٥٣] "أسرارالبلاغة" للشيخ عبدالقاهر الجرجاني، دارالكتب العربية،بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ص١٧٨

ونجد هذا اللون البلاغي في سيرة الدكتور القرضاوي الذاتية كثيراً، فهو يدني البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعةً ووضوحاً. إليكم بعض الجواهر واللآلي من بحر الدكتور يوسف القرضاوي المتدفق في هذا المجال، مثل تغنيه في مديح سيدنا عبدالله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه:

وأمست مصر للإسلام حصناً

ودرعا للسان وللكتاب[١٥٤]

هذا تشبيه بليغ لأن القرضاوي شبه مصر بحصن الإسلام وبدرع للسان العربي وللقرآن الكريم الذي نزل بلسان العربي المبين.

يذكر القرضاوي قصة الاستماع إلى الشيخ حسن البنا بمناسبة الهجرة النبوية، فيقول:

"وذهبت معهم إلى شعبة الإخوان قرب "ميدان الساعة" في طنطا. وتكلم كثيرون قبل الشيخ البنا، ومنهم شعراء وخطباء مؤثرون، ثم كانت كلمة الختام للشيخ البنا، الذي انتظره الناس بفارغ الصبر، كما ينتظر الظمآن الماء، والسقيمُ الشفاء."[١٥٥]

شبه القرضاوي هؤلاء المحبين لسماع كلمات الشيخ البنا بالظمأى والسقام، وهذا هو التشبيه المرسل المجمل.

الاستعارة:

يعرف إمام البلاغة الشيخ عبدالقاهر الجرجاني "الاستعارة بأنها: ادّعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء... وكنا إذا عقلنا من قول الرجل "رأيت أسداً" أنه أراد به المبالغة في وصفه بالشجاعة."[١٥٦]

ويشير الأب لويس شيخو إلى قوة الاستعارة كما يلي:

"إن للاستعارة أجلّ موقع في الكتابة. أنها تجدي الكلام قوةً وتكسوه حسناً ورونقاً فبها تثار الأهواء والاحساسات وتفكّه المخيّلة"[١٥٧]

---

[١٥٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٩

[١٥٥] "المصدر السابق، ص١٥٩

[١٥٦] "دلائل الإعجاز" للإمام عبدالقاهر الجرجاني، دارالمعرفة بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٣٣٥-٣٣٧

والسيرة الذاتية للقرضاوي غنية بالصور الفنية التي جاءت من طريق الاستعارة بأقسامها المتنوعة، نورد بعض النماذج من هذا الباب فيما يلي:

في مديح سيدنا عبدالله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه يقول:

"بعبدالله أشرقت الروابي

وبوركت السهول مع الهضاب

شرفت بصحبة المختار دهراً

تلقى من مناهله العذاب"[١٥٨]

في البيت الأولى يستعير صفة الاشراق من الشمس والقمر والنجوم لأنها ليست صفة الروابي، فهي إذن استعارة مكنية. وزيّن القرضاوي البيت الثاني بالاستعارة التصريحية لأنه شبه مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام بالمنهل والجامع إزالة العطش في كل.

وانظر كيف يستخدم عبد الحميد جودة السحار ألوان الاستعارة في العبارة التالية:

"وعرفت أن موت العظماء واحات في صحراء حياتنا نتفيأ ظلالها من وهج المساطر والمؤشرات والخيزرانات التي تنهال على أجسادنا التي كاد يعصف بها القلق."[١٥٩]

وشبه حياة الطلاب بصحراء ليس فيها ظل للحماية من حرارة الشمس إلا قليلا حين تحدث عن عادة الأساتذة في ضرب الطلاب بطريقة وحشية. هكذا وجدوا راحة باعلان موت السلطان من شقاوة أساتذتهم. وهذه استعارة تصريحية بجامع الكرب.

وأقدم مثالين من قطعتين نثريتين للاطلاع على خصوبة خيال القرضاوي وذوقه الأدبي العالي وموهبته الفنية الفذة:

---

[١٥٧] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" الجزء الأول، ص٧٣

[١٥٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٨

[١٥٩] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٣٢

"كان الفقه في أبواب المعاملات "ميتا" لا روح فيها ولا حياة. لا في الكتاب، ولا في عقلية الأستاذ وطريقته."[١٦٠]

"وقرت أعين الطلاب بالجو الجديد، الذي لم يعد فيه الطلاب يتحسس بعضهم على بعض"[١٦١]

في المثال الأول شبه القرضاوي مواد الفقه بالميت وهذه صفة للكائن الحي فقط، وهنا استعارة تصريحية بجمع حالة عدم القدرة على أي عمل. واستخدم كلمة "قرة" لأعين الطلاب، والقرة ليست صفة الأعين، حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، فهي استعارة مكنية، والمراد بذلك الاطمئنان والراحة.

وانظر إلى مثال آخر للاستعارة التصريحية عند عبد الحميد جودة السحار، إذ يذكر أستاذ اللغة الإنجليزية، ونكاد نغرق في الضحك:

"كان قصيراً في وجهه صرامة، وقد قيل إنه يأتي إلى المدرسة وهو سكران، ولكني لم أتأكد من ذلك طوال حياتي، فكيف أستطيع أن أشم فم عزرائيل؟!"[١٦٢]

الكناية:

ومن منا ينكر أن الكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، لأنها تضع لنا المعاني في صورة المحسات، وهي "غاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها: في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها"[١٦٣]

الكناية عند البلاغيين "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، نحو: "زيد طويل النجاد" تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم"[١٦٤]

صور القرضاوي صوراً جذابةً رائعةً مستخدما الكناية، وإن كانت قليلة نسبياً إذا ما قورنت بالاستعارة والتشبيه، وعلى سبيل المثال أذكر فيما يلي:

---

[١٦٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٨٦

[١٦١] المصدر السابق، ص١٩٢

[١٦٢] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٣٠

[١٦٣] "جواهر البلاغة" للسيد أحمد هاشمي، مكتبة الآداب، ص٢٨١

[١٦٤] المصدر السابق،ص٢٧٣

يذكر الدكتور أيام المعتقل إذ كانوا يركبون الباخرة إلى معتقل "هايكتسب"، فحدث فجأة هرج ومرج في الباخرة، وقد شكا قائد السفينة من ذلك، فخاطب الإمام الغزالي الإخوان بكلمات موجزة بليغة وقوية، طالباً أن يلزموا الهدوء، ويحترموا النظام، حتى يصلوا إلى تلك الأرض التي انطلقت منها شرارة الوحي المقدس، لتحرير أمة مستعبدة، فيصور لنا القرضاوي كيفية الانصات وعدم حركة الإخوان وهم مستمعون إليه:

"كأن على رؤوسهم الطير، واستجابوا لندائه بسرعة وطواعية."[١٦٥]

هنا موطن الكناية "على رؤوسهم الطير"، وهذا يدل على انصاتهم وكيفية جذبهم.

ومن خلال رحلتهم القاسية من معتقل الطور إلى معتقل هايكتسب، يذكر الدكتور القرضاوي حالتهم عند اقترابهم من القاهرة بعد الإقامة الشاقة في قلب الصحراء بكناية رائعة عن شدة فرحتهم فيما يلي:

"وانفرجت أساريرنا عندما رأينا خضرة القمح والشعير والفول والبرسيم، لأول مرة منذ أشهر، فلم نكن نرى غير اللون الأصفر، لون الصحراء."[١٦٦]

هنا موطن الكناية "وانفرجت أساريرنا"، وهذا يدل على شدة فرحتهم.

ولا ننسى "أن الخيال ركن أساسي من أركان رواية السيرة الذاتية، ومن دونه تخرج من كونها فناً أدبياً يتذوقه المتلقي ويحلق معه في عوالم السمو والرقي الروحي والفكري... ولا ينبغي أن يكون الخيال مقيداً في أي فن من الفنون الأدبية حتى في رواية السيرة الذاتية، والكاتب المحنك ذو الذائقة السليمة يستطيع -وهو يكتب رواية سيرة ذاتية له- أن يتعامل مع الخيال بأسلوب شفيف، ويستخدمه كأداة من أدوات العمل الفني في سبيل إيصال سيرته الذاتية بشكلها الواقعي الحقيقي بما تحتويه من أحداث وتجارب وخبرات في أبهى حلة وأعذب مضمون وأعمق تأثير."[١٦٧]

---

[١٦٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٣٥٧

[١٦٦] المصدر السابق، ص٣٧٦

[١٦٧] "رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل" قحطان بيرقدار، الشبكة الدولية

فيناسب هنا أن نذكر بعض صور الخيال الجيدة التي تدل على سمو فكر الدكتور القرضاوي، ويجذبنا إليه. هناك أمثلة عديدة ولكن يكفي أن أختار قليلاً من درر أفكاره فيما يلي:

"التحرر من التعصب لمذهب إمام بعينه، فإن الله لم يكلفنا باتباع إمام أو مذهب معين، إنما كلفنا اتباع كتابه وسنة نبيه، وعلينا أن نستفيد من جميع المذاهب، مرجحين منها ما كان أقوى دليلا، أيا كان القائل به، فالمسلم يتبع الحجة ولا يتبع الأشخاص غير المعصومين."[١٦٨]

"فقد أثبت التاريخ أن الاغتيال السياسي لا يحل مشكلة، وأنه كما قال أحدهم للشيخ البنا: إن ذهب عير فعير في الرباط، وأن كثيرا ما يكون الخلف أنكى وأقسى من سلفه."[١٦٩]

"فالأصل أن ننام مبكرين، لنستيقظ مبكرين، غير متعبين،وهذا هو الأصل في نظام الحياة اليومي عند المسلمين، قبل عصر الإعلام والتفزيون والمسلسلات."[١٧٠]

ويصور لنا القرضاوي حال قلوب طلاب الثانوي في معتقل الطور إذا سمعوا أنه ربما يفرجون عنهم ولكن سيطول اعتقال الكبار وخيالهم الراقي، فيقول:

"و لم نفرح بهذا الخبر، بل كان وقعه علينا وقع الصاعقة، فما كنا نحب أن نفارق إخواننا وشيوخنا، بل كنا نحب أن نبقى إلى جوارهم، يجري علينا ما يجري عليهم."[١٧١]

يتضح لنا الرأي الأوسط في التعامل مع تاريخنا، فيقول:

"والحقيقة أن تاريخنا- وخصوصا في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهي خير قرون الأمة كما صحت بذلك الأحاديث- يحتاج إلى تحقيق علمي رصين، وتمحيص لرواياته في ضوء الموازين العلمية التي وضعها علماؤنا لتوثيق الأخبار أو تصنيفها... والواجب علينا أن ننظر إلى تاريخنا نظرة منصفة بحيث لا نقدسه، ولا نظلمه، بل ننصفه، ونحكم له أو عليه بالعدل كما **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ الأنعام: ١٥٢"[١٧٢]

---

[١٦٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٢٣٦

[١٦٩] المصدر السابق، ص٣٣٥

[١٧٠] المصدر السابق، ص٣٦٨

[١٧١] المصدر السابق، ص٣٧٥

البناء:

قبل أن نتحدث عن البناء في سيرة الدكتور يوسف القرضاوي الذاتية، أود أن أذكر ما قاله الدكتور سلطان سعد القحطاني[١٧٣] مقتطفاً من دراسته الطويلة، لكي نفهم الفرق الطبيعي بين بناء الرواية والقصة والسيرة الذاتية، حيث يقول:

"إن الصفات إن لم توظف التوظيف العلمي الصحيح تنقلب في غالب الأحيان على نفسها، فالرواية ثلاثية (كاتب وراو وبطل) والقصة الطويلة ثنائية (كاتب، وبطل) بينما تقوم السيرة على شخصية أحادية، تختزل الثلاثة في واحد، والرواية تستوعب الفنون والعلوم في قالب واحد يصوغها الروائي بالخيال الممزوج بالحقائق، بينما الحقائق مكشوفة ومجردة في السيرة، والشخصيات متنامية في الرواية الفنية، ولكنها في السيرة موظفة توظيفاً مؤقتاً، سرعان ما تحترق بنهاية دورها، فهي ذات أدوار محدودة، والزمن في الرواية متصاعد باتجاه قمة الحدث (العقدة) بينما الزمن في السيرة أفقي مستمر، والحدث في الرواية عام قابل لتوليد أحداث مرادفة مساعدة للحدث الرئيس، بينما الحدث في السيرة خاص بصاحبه، لا يختلف عن الحكاية الشعبية والمواقف اليومية، والرمز والفلسفة والأسطورة قابلة للتطور في الرواية، ولا وجود لها في السيرة، وإن وجدت فليس لها توظيف؛ لكن هذه الفنون النثرية لا يستغني بعضها عن بعض، مع عدم تطابقها، فالرواية تأخذ من كل شيء، لكنها لا تعطي شيئا، فلا يمكن أن تكون الرواية سيرة ذاتية، ولا السيرة يمكن أن تكون رواية، وقد حاولت تبرير هذه الآراء بالمفهوم العلمي، ولا يخفي أن هذه الفنون الأدبية مهمة في حياتنا الأدبية، وقد اجتهد النقاد في تعريفها وفصل كل منها فصلاً ليس بالكلي، لكن ليكون لكل منها شخصيته المميزة، ولذلك يجب علينا أن نحافظ عليها بتعزيزها وليس بخلطها، وجعلها تظهر في صور باهتة، مؤكدا أن الذي نسب للكتاب على أنه سيرة ذاتية، ليس من السيرة في شيء."[١٧٤]

ويقول الدكتور عزالدين إسماعيل:

---

[١٧٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٤٣٢

[١٧٣] (أستاذ الأدب في جامعة الملك سعود)

[١٧٤] "التماس الفني بين السيرة والرواية" لـلدكتور سلطان سعد القحطاني، الأثنين ٧ ,جمادى الاولى ١٤٢٩ (الشبكة الدولية)

"وينبغي أن يكون واضحاً أن الصورة البنائية تختلف من نوع قصصي إلى آخر."[١٧٥]

إذن يتضح لنا أن الصورة البنائية أنسب للرواية أو القصة لا تصلح للسيرة الذاتية.

ونعني بالبناء هيكل السيرة وشكلها، والصورة العضوية تناسب السيرة الذاتية حيث تتبع السيرة بكل أحداثها تصميما عاما، وكل حادثة تضيف من خلال التصميم شيئا حيويا للسيرة، وتأخذ الشخصيات والأحداث أماكنها المناسبة بحيث تؤدي كل الخطوط إلى النهاية.

وسأحاول أن أقيس السيرة الذاتية للدكتور يوسف القرضاوي من ناحية البناء، تحت العناوين التالية:

الأحداث:

ذكرت قبل قليل "الحدث في الرواية عام قابل لتوليد أحداث مرادفة مساعدة للحدث الرئيس، بينما الحدث في السيرة خاص بصاحبه، لا يختلف عن الحكاية الشعبية والمواقف اليومية."

يقول دكتور الطاهر أحمد مكي:

"ينشأ الحدث غالباً من موقف معين، يتطور إلى نهاية معينة... ولكي يستكمل الحدث وحدته، ويصبح كاملا، يجب أن يجيب على سؤال لِمَ، إلى جانب الأسئلة الثلاثة الأخرى كيف ومتى وأين وقع، والإجابة على هذا السؤال تتطلب بحثاً عن الدافع، أو الدوافع، التي أدت إلى وقوع الحدث بالكيفية التي وقع بها، وهذا يتطلب بدوره التعرف على الأشخاص الذين قاموا بالحدث أو تأثروا به، فما من حدث إلا كان وراءه محدث، شخص أو أشخاص، يترتب عليه وقوع الحدث على نحو معين، والحدث هو الشخصية وهي تعمل... ووحدة الحدث لا تتحقق إلا بتصوير الشخصية وهي تعمل. ويجيء تصوير الشخصية وهي تعمل عملا له معنى، وإنما ينشأ من الحدث نفسه، وجزء لا يتجزأ منه... فالحدث والشخصية والمعنى وحدة، ويساند كل منها الآخر ويقوم على خدمته."[١٧٦]

ويرى أندرية موروا (ANDRE MAURIOS):

---

[١٧٥] "الأدب وفنونه" للدكتور عزالدين إسماعيل، دارالفكر العربي ، ط٨، ١٩٨٣، ص١٤٠

[١٧٦] "القصة القصيرة" للدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط٨، مارس ١٩٧٨، ص٧٨-٧٩

"إن كاتب السيرة يأخذ أحد الأفراد محوراً ويجعل الأحداث تبدأ به وتنتهي إليه، ويجب أن تدور كلها حوله"[١٧٧]

وشعرت من دراسة السيرة الذاتية للقرضاوي أنها تقوم على موضوع شائق جذاب، وهي تشمل على شخصيات واضحة الملامح وحوادث متنوعة يربط بينها جميعا تفاعل يؤدي إلى هدف واحد. ويرتب القرضاوي الأحداث في تسلسل واطراد وترابط تجري إلى أن تنتهي إلى الغاية المقصودة. في بداية السيرة الذاتية يلقي القرضاوي شعاعا من ضوء على البيئة التي ولد فيها، ونشأ بها، وخطا في ربوعها ومرابعها خطواته الأولى، ثم ينسج خيوط حياته في نسيج جميل تدريجياً، ويصور الأفكار والأحداث تصويراً يثير العواطف والوجدان ويجعل القارئ كالمشاهد، فنرى صورة متكاملة لشخصية الدكتور القرضاوي منذ طفولته إلى حصوله على الشهادة العالمية في الجزء الأول من كتابه "ابن القرية والكتاب".

الشخصيات:

من خلال دراسة "ابن القرية والكتاب" وصلت إلى نتيجة أن هناك تركيز على شخصية الدكتور يوسف القرضاوي، وتذكرة الأشخاص الآخرين وعرض أجزاء من حياتهم بطريقة تخدم الغرض الأساسي لكتابة السيرة الذاتية، فنرى شخصية القرضاوي كشجرة طيبة تنبت من بذرة طيبة، تتنفس في فضاء طيب وتسقى من بحر العلم النقي المصفى، ثم تنمو وتكبر وتثمر ثمرة طيبة.

أما الشخصيات الأخرى، فتلعب أدوارها في إبراز شخصية الدكتور القرضاوي في مراحله المختلفة، وقد تأثر القرضاوي بها وأثر في بعضها. أذكر أسماء أبرز الشخصيات التي ذكرها القرضاوي على سبيل المثال، شخصية صحابي الرسول سيدنا عبدالله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه والشيخ عبدالمطلب البتة وعلماء القرية الآخرون، وأفراد أسرة القرضاوي وخاصة عمه أحمد الذي كفله، وأمه الحنونة والشيخ حامد أبو زويل، وشيوخه في المعهد الديني بطنطا، وشيوخه في الأزهر بالقاهرة، والشيخ الإمام حسن البنا وكبار الإخوان المسلمين مثل الشيخ حسن الهضيبي

---

[١٧٧] "فن التراجم والسير الذاتية" لاندرية موروا (ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش)، المكتب الأعلى للثقافة-القاهرة، أغسطس ١٩٩٨م، ص٧٣

والشيخ الغزالي والشيخ عبدالمعز عبدالستار وسيد قطب والشيخ خالد، وشخصيات أصدقائه خاصة محمد حسن مراد الدمرداش والدكتور أحمد العسال.

الزمان والمكان:

حياة الإنسان مقيدة بالزمان الذي يعيشه ومحدودة بالمكان الذي يستطيع أن يعيش فيه ويتحرك فيه. ومن الطبيعي أن الأحداث تقع في مكان وزمان، وذكرت قبل ذلك أن الزمان في السيرة الذاتية دائماً أفقي مستمر. وأرى من خلال دراستي لسيرة الدكتور القرضاوي الذاتية أن الزمان أفقي مستمر. يذكر الدكتور الأماكن التي عاش فيها وزارها في مرحلتي الصبا وطلب العلم، ويجعلنا نتصور هذه الأماكن المختلفة كأننا نراها بأعيننا بقوة قلمه الأدبي الراقي.

تجري الأحداث في السيرة الذاتية للدكتور القرضاوي حول أماكن عديدة، ولكن نجد أن الزمن يوحدها مثلا ولد القرضاوي في قرية صفط تراب وحصل على العلوم الابتدائية فيها، ثم سافر إلى المعهد الديني في طنطا لكي يحصل على العلوم الأخرى. وجد هناك فرصة "للأسفار المجانية" إلى الإسكندرية والقصاصين والقاهرة وغيرها بين حين وآخر مع طلاب المعهد الديني الآخرين، ودخل السجن مع كبار الإخوان المسلمين ليسقيه ربه من شراب طهور مزاجها العلم والعمل مزيناً بحلاوة التقوى بيد الشيخ محمد الغزالي والشيخ عبد المعز عبدالستار وغيرهم، وزادت ثقافته في هذه الفترة إلى حد كبير، وبعد الإفراج عنه وخروجه من المعتقل اشتغل بالدراسة والنشاط الإخواني المكثف في القاهرة، وقصد بأمر الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام لإخوان المسلمين إلى بلاد الشام ومدن الصعيد، وتعلم كثيراً من هذه الرحلات.

اللغة:

إن الأدب كائن حي متجدد الحيوية وتعبير عن الحياة أداته اللغة. لذا قال الدكتور عزالدين إسماعيل:

"اللغة هي الظاهرة الأولى التي ينبغي الوقوف عندها عندما نتحدث عن الأدب، لأن الأدب لا يمكن أن يتحقق إلا فيها."[١٧٨]

واللغة وسيلة لقضاء أمور الحياة وربط الناس بعضهم بالبعض. ولكن لابد من الاعتراف أن اللغة في العمل الأدبي تختلف عن هذا، وعلى الأديب أن يختار في عمله الأدبي الكلمات ذات الايحاء الفني، وبعض الناس يتأثرون بفكرة أن هناك لغة أدبية أو ألفاظاً أدبية وأخرى غير أدبية، ولكن الدكتور عزالدين اسماعيل رد عليهم بأسلوب قوي حيث يقول:

"فكما أن موضوعات الحياة كلها تصلح للتناول الأدبي... فكذلك كل ألفاظ اللغة صالح لأن يستخدم في عمل أدبي. كل ما في الأمر أن الأديب يختار للكلمة المكان الذي تكون فيه أصلح كلمة تستخدم. وتكتسب الكلمة "وضعا" خاصا باستخدام الأديب لها في ذلك المكان. وهذا جزء من عملية التطويع التي يتناول بها الأديب اللغة ليخضعها لغرضه، ويستخدمها استخداما خاصا. ... فالكلمة قد تكتسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها. إن الأديب ذا الشخصية القوية المؤثرة يخلق للكلمة- باستخدامه إياها- مجالا واسعا."[١٧٩]

وفي تناولي لدراسة اللغة المستخدمة في السيرة الذاتية للقرضاوي سأتناول الألفاظ والتراكيب:

الألفاظ:

تتميز الألفاظ في السيرة الذاتية بسمات من الفصاحة والبيان، ومن أبرز هذه السمات أذكر ما يلي.

١- السهولة والصراحة والوضوح:

السهولة "هي الخلوص من التعسف في السبك هذا إلى أنها تفيد الكلام رونقاً وطلاوة"[١٨٠]

والصراحة "لغة الخلوص. ويراد بها سلامة الإنشاء من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلام حرّا مهذبا فتناسب ألفاظه للمعاني المقصودة."[١٨١]

---

[١٧٨] "الأدب وفنونه" للدكتور عزالدين اسماعيل، دارالفكر العربي، ط٨، ١٩٨٣م، ص٢٣

[١٧٩] المصد السابق، ص٢٥

[١٨٠] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" للأب لويس شيخو اليسوعي، الجزء الأول، ص١٢٦

[١٨١] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" للأب لويس شيخو اليسوعي، الجزء الأول، ص١١٩

ومن منا ينكر أن "الوضوح شرط لجودة الأسلوب، لأن الانحراف عن الوضوح فيه يفوت الغرض منه، ويتحقق باستعمال ألفاظ سهلة مألوفة، لكنها غير مبتذلة ولاسوقية."[١٨٢] والوضوح "دفع الإبهام وغايته في الكتابة أن يتمكن القارئ من الاستدلال على المعنى لتراهة الكلام عن اللبس والخفاء."[١٨٣]

تتميز الألفاظ في سيرة القرضاوي بالسهولة والصراحة والوضوح، يبتعد القرضاوي عن الألفاظ الغامضة والوحشية ولا نرى في ألفاظه غرابة وتنافر الحروف. فنشعر أن للألفاظ التي تنبع من قلم الدكتور القرضاوي تأثيرها في استمالة القلوب وتجعل القارئ ينبهر بها. أنظر إلى العبارة التالية التي تدل على ثقافة لغوية عالية للقرضاوي وترون أن اللفظ جاء واضحاً مكشوفاً مألوفاً للقارئ غير بعيد عن إدراكه، ولو كان هذا القارئ من عامة الناس، فيقول الدكتور القرضاوي:

"ومن هنا: أرفض كل الفلسفات "الجبرية" سواء كانت جبرية دينية، كالذين قالوا: إن الإنسان أشبه بريشة في مهب رياح الأقدار، تقلبها كيف تشاء، ولا إرادة له ولا اختيار. أم كانت جبرية اجتماعية، كفلسفة "دوركايم" ومن تبعه، الذين قالوا: إن الفرد دمية يحرك خيوطها المجتمع، وكل ما يعمله من صالحات، أو يقترفه من جرائم هو من صنع المجتمع، وهو أسير المجتمع في الحسنات، وضحيته في السيئات. أم كانت جبرية سياسية، كالذين يزعمون أن هناك قوى خفية تحكم العالم، وأننا مجرد أحجار على رقعة الشطرنج، وهذا لا دليل عليه، وهو يؤيسنا من كل عمل لإصلاح أنفسنا. الإنسان مكلف حر ومختار ملّكه الله مصير نفسه بلا ريب."[١٨٤]

والحق أن الألفاظ التي اختارها الدكتور القرضاوي في سيرته الذاتية سهلة وصريحة وواضحة مما يعجب به القارئ بلا شك.

ب- الدقة في اختيار الألفاظ:

ونعني بالدقة أن تكون الألفاظ على قدر معانيها. "فالملاءمة بين اللفظ والمعنى ركن هام في الأسلوب الأدبي، وإصابة المتكلم في اختيار الكلمات التي تكون نصاً في المعنى المراد، والتي تكون

---

[١٨٢] "النقد الأدبي عند العرب" للدكتور محمد طاهر درويش، دارالمعارف القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٣٩

[١٨٣] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" للأب لويس شيخو اليسوعي، ص١١٨

[١٨٤] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٧١

أشد دلالة عليه من كلمات أخرى تشاركها فيه هي الدقة، والأسلوب البارع هو الذي يتسم بها."[١٨٥]

وهناك علاقة قوية بين المعاني والألفاظ، ممكن أن نقول "المعاني والألفاظ كجناحي الطائر لا يطير إلا بسلامتهما فإذا هيض أحد جناحيه ظل يتخبط ولصق بالتراب."[١٨٦]

يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني:

"إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر."[١٨٧]

ينتقي الدكتور القرضاوي ألفاظه حتى تكون سهلة على الأفهام مع مراعاة جدتها، وهو بثقافته الواسعة وفصاحته البالغة يحرص على خلق الترابط بين اللفظ والمعنى بحيث يختار من بين الألفاظ المترادفة المتشابهة أنسبها للمعنى وأكثرها إيحاء ودلالة، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

يصور لنا القرضاوي حالة خوفه في أيام طفولته: "وهذا ما جعلني من بعد صلاة المغرب عندما أمر على هذه المدرسة أركض ركضاً، وأجري كالريح خوفا من أن تطلع عليّ أم جلاجل."[١٨٨] فهو عبر بكلمة (أركض) لوصف كيفية الخوف فإننا نشعر مدى الإيحاء الذي تلقيه هذه الكلمة من خلال السياق والتي لن تؤدي مترادفها نفس الإيحاء كما تؤديه هي، مثلا (عدت مسرعا). وانظروا كيف يشرح قضية فلسطين وهو يقول: "والقضية العربية وعلى رأسها قضية فلسطين التي يزداد كل يوم إحكام فتل الحبل حول عنقها من الصهيونية العلمية" فكلمة (فتل) لها من الإيحاء ما لا تؤديه (برم).

---

[١٨٥]"النقد الأدبي عند العرب"، للدكتور محمد طاهر درويش، ص ٢٣٩

[١٨٦]"دراسات في النقد الأدبي" للأستاذ رشيد البعيدي، الجزء الثاني، ص٢٩

[١٨٧]"دلائل الإعجاز في علم المعاني" للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص٣٨

[١٨٨]"ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٤٨

ج- جزالة الألفاظ ومتانتها:

ونعني بالجزالة "إبراز المعاني الشريفة في معارض من الألفاظ الأنيقة اللطيفة"[١٨٩]

وهي سمة بادية تظهر لكل قارئ لسيرة القرضاوي الذاتية، وأكثر ما تبدو جزالة الألفاظ عند القرضاوي وقوتها في مواضع التوبيخ أو يريد أن يبين للقارئ كرامة أهل التقوى، فهذه مواضع تحتاج إلى جزالة وقوة في الألفاظ لمناسبتها لحال المخاطبين. ومثالا على ذلك يعترض على قضية ملكية الأطيان، فيقول:

"ولا أدري على أي أساس تمت ملكية الأراضي في مصر، وكيف حدث هذا التوزيع الجائر الذي جعل بعض الناس يملكون آلاف الأفدنة، وهم لا يعملون، وجعل الآخرين يعملون ليلاً ونهاراً، وهم لا يملكون."[١٩٠]

وانظروا إلى متانة الألفاظ وجزالتها في العبارة التالية:

"ولقد خرج الإخوان من معتقلاتهم أشدّ عزماً، وأقوى إصراراً على دعوتهم، واستمساكا بعروتها الوثقى، ونشاط في سبيلها."[١٩١]

التراكيب:

وكما ينتقي القرضاوي الألفاظ التي فيها السهولة والصراحة والوضوح والدقة والجزالة والمتانة، فقد وفق الدكتور القرضاوي في المؤامة والمزاوجة بين الألفاظ وتأليفها تأليفاً حسناً يتفاعل معه القارئ. أذكر على سبيل المثال:

ا- حسن التأليف:

والمراد به ان يكون الكلام "جاريًا على ما اشتهر من قواعد النحو المعتبرة عند جمهور العلماء.[١٩٢] فالقرضاوي لا يخرج في كلامه على قواعد النحو، ويلتزم في تأليفه للجمل والكلمات ما اعتمده علماء النحو إلى الحد الذي نراه يفتخر بهذا، فهو يقول:

---

[١٨٩] "كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض" للأب لويس شيخو اليسوعي، ص١٢٩

[١٩٠] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٦٢

[١٩١] المصدر السابق، ص٤٣٣

[١٩٢] "جواهر البلاغة" للسيد أحمد هاشمي، ص٢٣

"ولقد سهل الله جل شأنه عليّ علم النحو والصرف، منذ السنة الأولى الابتدائية، فهضمت النحو ووعيته بيسر وسهولة، لم أحس معه بأي عنت، وكان زملاؤنا يشكون من صعوبة النحو. ثم اشتكوا بعد ذلك من صعوبة الصرف، وأنا أجدهما عندي كشربة الماء العذب البارد على الظمأى. ومن يوم درست النحو إلى اليوم، وأنا لا أخطئ فيه إذا قرأت أو إذا تكلمت، من غير تعب ولا تكلف، كأنها فطرة أو طبيعة."[١٩٣]

ب- جودة الصنعة ودقة المعاني:

لقد عاب علماء البلاغة التصنع في الكلام والتكلف في البديع، لأن ذلك يفسد المعنى ويبهمه على االقارئ أو السامع في رأيهم، وإذا قرأت سيرة القرضاوي الذاتية من هذه الناحية فاعترفت أن القرضاوي قد أجاد هذا الفن حتى جاءت تراكيبه متميزة بدقة المعاني وجودة الصنعة حتى تبين للقاريء أسلوبه كأنه لا تعب فيه ولا اضطراب. انظر مثلا إلى قوله:

"فقد كنا نحن طلاب الأزهر- مشغوفين بحب الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر، وكنا نعتقد أنه مثال مشرف للشيخ الأزهري المؤمن برسالته، المعتز بكرامته، الفاقه لدينه، الواعي لعصره، وكنا نوالي من يواليه، ونعادي من يعاديه."[١٩٤]

"وقد انعقدت بيني وبين "محلة أبو علي" مودة عميقة، وصلة وثيقة، حتى أصبحت كأنها بلدتي الثانية، وأصبحت كثير الذهاب إليها، والمبيت فيها، وغدا يعرفني كبارها وصغارها، ورجالها ونساؤها، كأني واحد من أهلها."[١٩٥]

يثبت لنا أن عبارات القرضاوي غير متعسرة في النطق وأن هذا السجع جاء وفق الطبع من غير تكلف. ومنح الله الدكتور القرضاوي القدرة المتميزة على دقة المعاني وجودة الصنعة.

---

[١٩٣] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٧٦

[١٩٤] المصدر السابق، ص١٨٠

[١٩٥] المصدر السابق، ص٢٧٨

الأسلوب:

قد ناقشت اللغة التي استخدمها الدكتور القرضاوي، ولكن هذا لا يكفي، لأن "اللغة هي الأداة التي يملكها الأديب، وهي بمثابة قطعة المرمر أو الخشب عند النحات، أو الصبغة عند الصباغ أو الرسام، وإذا كانت عملية النحت أو الرسم تخضع لأساليب معينة في إبراز تمثال ما أو رسم ما، في شكل معين، فإن الأسلوب المتبع في بناء العمل الأدبي يتنوع بتنوع شخصية الأدباء، والموضوعات والأجناس الأدبية."[١٩٦]

ويقول الدكتور محمد طاهر درويش في أهمية الأسلوب:

"وقد اعتز الأقدمون بالأسلوب اعتزازاً كبيراً، وتبين لنا هذا من كلامهم في اللفظ والمعنى، وما تداولوه حولهما من الآراء ومن خلال تلك الآراء نجد الأكثرية يقدمون اللفظ، ويعظمون أثره في الكلام، ونجدهم حين يتكلمون عن الألفاظ يقرنون الكلام فيها بالصياغة الفنية، ويهتمون بهذه الصياغة، ويشيدون بقيمتها، ويقرنونها بالنسيج والتصوير وصياغة الجواهر والسبائك، ومن رأيهم أنها إذا أحسنت تضاعفت قيمة المنسوج والمصور والمصوغ، وليست الصياغة في الكلام وفي نطاق الأدب إلا الأسلوب."[١٩٧]

ما هو الأسلوب؟ هو "ليس عرض المعاني فقط، وليس استخدام الألفاظ فقط، بل هو مركب فني من عناصر مختلفة يستخدمها الفنان من ذهنه ونفسه وذوقه. عناصر مثل الأفكار والصور والعواطف والألفاظ والمحسنات الأخرى، وهذا يعيدنا إلى المعنى الشامل للأساوب، وطريقة الكاتب منذ اللحظة الأولى التي يبدأ فيها الموضوع بالتكوين في ذهنه وإحساسه، حتى ولادة العمل الأدبي المتكامل."[١٩٨]

وكلنا نعرف القول المنسوب إلى عالم الطبيعة الفرنسي بوفون "بأن الأسلوب هو الإنسان نفسه."[١٩٩]

---

[١٩٦] "نظرية الأدب"، لشايف عكاشة، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، (ب-ت) ص٩١

[١٩٧] "النقد الأدبي عند العرب" للدكتور محمد طاهر درويش، ص٢٤٨-٢٤٩

[١٩٨] "فصول في النقد الأدبي وتاريخه"، للدكتور ضياء الصديقي والدكتور عباس محجوب، ص٣٩

[١٩٩] "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" لكامل المهندس ومجدي وهبة، ص٣٥

ويعترف الدكتور شوقي ضيف بأن "جمال الأسلوب الأدبي شيء لا يمكن حصره ولا ضبطه، قد يمكن أن نتعقبه، وأن نرى بعض آثاره وصفاته في بعض التعبيرات، ولكن من الخطر أن نجعل هذه الصفات حاكمة حكماً عاماً، فإن من أخطر ما يكون في النقد الأدبي أن نتلمس قانونا عاما نفسّر به الظواهر الأدبية... فلكل أديب أسلوبه، ولكل تعبير جماله، والتعبير لا يتكرر وكذلك الجمال لا يتكرر."[٢٠٠]

عندما ننظر إلى الأسلوب الذي استخدمه الدكتوريوسف القرضاوي نجد أسلوباً أدبياً رائعاً، والمراد بالأسلوب ألأدبي "هو الأسلوب الجميل يمتاز بالخيال الرائع والتصوير الدقيق وتلمّس أوجه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنى ثوب المحسوس وإظهار المحسوس في صورة المعنوي."[٢٠١]

بل فوق ذلك نرى امتزاج الأسلوب العلمي بالأدبي عند القرضاوي لأنه يحافظ على الحقائق العلمية مع توشيتها ببعض الصور الخيالية، فيجمع الأسلوب بين الأفادة الذهنية والمتعة النفسية. والأسلوب يتألف من عناصر كثيرة، والآن أقدم بعض ألوان أسلوب القرضاوي على سبيل المثال في الأسطر التالية:

ا- حسن الابتداء:

ونعني بهذا المصطلح "أن يجعل أول الكلام رقيقاً وسهلاً، وواضح المعاني، مستقلا عمّا بعده، مناسباً للمقام؛ بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته"[٢٠٢] لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح، وقد بدأ الدكتور القرضاوي سيرته الذاتية بأسلوب جذاب، انظروا كيف يبدأ الكلام:

"لم يشأ لي القدر أن أولد وأنشأ في مدينة كالقاهرة كما نشأ أحمد أمين، أو كدمشق كما نشأ علي الطنطاوي، لأتحدث عن مدينتي وخصائصها وروائعها، ولكني ولدت ونشأت في قرية متواضعة من قرى الريف المصري، بعيدة عن كل أسباب المدنية الحديثة؛[٢٠٣]

---

[٢٠٠] "في الأدب والنقد"، للدكتور شوقي ضيف، دارالمعارف- القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٨

[٢٠١] "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" لكامل المهندس ومجدي وهبة، ص٣٥

[٢٠٢] "جواهر البلاغة" للسيد أحمد هاشمي، ص ٣٣٩

ب- الاستشهاد بالآيات القرآنية وأحاديث النبوية:

يستشهد القرضاوي بالآيات القرآنية وفي موضعها المناسب بأسلوب جميل وقوي، ويتميز بالسلاسة حتى نستشعر أن كلمات القرضاوي تندمج في الكلمات القرآنية والأحاديث الشريفة كما يندمج ماء العين في البحر المتدفق، يقول:

"وهكذا رأينا المحور والقطب الذي تدور عليه رحا القرية هو "الأرض"، أعني الأرض الزراعية، وكل ما يتصل بها، فهي التي تخرج النبات والزرع مختلفا ألوانه، وهي التي تغذي الحيوان والأنعام، التي لهم فيها دفء ومنافع ومنها يأكلون، والتي يسقيهم الله مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين."[٢٠٤]

"فلا أحب أن أظلم أو أظلم، وقد تعلمت بعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله أن يظلم أو يظلم، أو يجهل أو يجهل عليه."[٢٠٥]

وكذلك نرى أن عبد الحميد جودة السحار أيضاً يستشهد بالقرآن الكريم في سيرته الذاتية وإن كان استشهاده أقل من استشهاد الدكتور يوسف القرضاوي، فيقول:

"وارتفعت أصوات تسأل السيد البدوي الشفاء وقضاء الحاجات، فإذا بالدين الذي جاء ليقضي على الوسائط بين الله والناس جاء معتنقوه بشفعاء بينهم وبين ربهم، وكأنما قد نسوا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦. ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠."[٢٠٦]

ج- الاستشهاد بالتاريخ والأشعار والأقوال السلف الصالحين:

يزين القرضاوي سيرته الذاتية بنصوص وعبارات من التاريخ والأشعار وأقوال الصالحين من أسلافنا الكبار. أذكر على سبيل المثال:

---

[٢٠٤] المصدر السابق، ص٦٠ (والعبارة مأخوذة من السورة النحل، آية ٦٦)

[٢٠٥] "المصدر السابق، ص١١٩

[٢٠٦] "هذه حياتي" لعبد الحميد جودة السحار، ص٢١٧

"وقد قالوا: إن عطاء بن أبي رباح- الفقيه التابعي المعروف- كان رجلا أسود أفطس أعرج، ولكن كانت الملوك تجلس بين يديه لا يكادون يتحركون هيبة له.

وقال الشاعر:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له

والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال الإمام الشافعي:

من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم."[٢٠٧]

د- جمال الأمثال في سيرة القرضاوي الذاتية:

استخدام الحكم والأمثال يجعل الكلام أكثر وضوحاً ورونقاً، و تتجلى العبقرية في حسن التمثل بالحكم والمثل بتوظيفهما في المضرب الصحيح، الآن أقدم أمثلة لتوضيح المعاني التي أشرت إليها:

يخبرنا القرضاوي عادات أهل قرية صفط تراب في الزواج، فيقول:

"ويحذرون من زواج المرأة السيئة لأجل مالها، ويقول مثلهم: لا تأخذ القرد على كثرة ماله، يروح المال ويبقى القرد على حاله. وإذا تزوج رجل لئيم من امرأة لئيمة، قالوا: زوجوها له، ما لها إلا له، أو قالوا: زوجوا مشكاح لريمة، ما على الاتنين قيمة."[٢٠٨]

ويعلق على الإعلام تعليقا جميلا، يوضح لنا فكرته عنها، حين يقول:

"وكثير من القضايا التي كان الإعلام يضخمها، ويجعل من الحبة منها قبة، كانت تتمخض في النهاية عند القضاء عن الحكم بالبراءة، ولكن بعد أن يكون الإعلام قد عمل عمله في عقول الناس لعدة أشهر، ثم يصدر حكم البراءة في عدة أسطر، وهو ما لا يزال إلى اليوم."[٢٠٩]

هكذا يذكر الأستاذ أحمد أمين أيامه الأولى في المدرسة، فهو يقول:

---

[٢٠٧] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٦٦

[٢٠٨] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٧١

[٢٠٩] المصدر السابق، ص٣٣٦

"ولم يمض الأسبوع الأول من دخولنا المدرسة حتى تكشفت أخلاقنا وعرف بعضنا بعضاً. وتبينت مواضع القوة ومواضع الضعف في كل منا سواء من الناحية الخلقية أو العقلية، فاستغل الأقوياء الضعفاء كما هو الشأن في الوجود، واتخذ بعضهم بعضاً سخرياً. لعب الماكر الماهر بالأبله الساذج لعب القرّاد بالقرود، ووقفوا لهم بالمرصاد يحصون غلطاتهم، ويؤولون تصرفاتهم بما يستخرج الضحك من أعماق القلب."[٢١٠]

س- الوصف:

الوصف "هي الوسيلة التي يرسم الكاتب بها جوانب البيئة ويصور الشخصيات وهيئتها وأحوالها النفسية."[٢١١]

ويمتاز أسلوب الدكتور القرضاوي بالوصف الخارجي والداخلي الجميل معاً؛ فنرى عنده قدرة فائقة في تبيين الوصف سواء كان يصف الشخصيات من الخارج أو من الداخل، انظروا إلى الأمثلة التالية:

يصف لنا عمه أحمد، الوحيد الباقي من أعمامه الخمسة بأسلوب مبين حتى نشعر أننا نكاد نراه بأعيننا المفتوحة، حيث يقول:

"كان طويل القامة، قمحي اللون، حسن الصورة، يلبس جلبابا وعمامة على رأسه، غير عمامة العلماء والقرّاء، فعمامتهم لفة على طربوش أحمر ذي زر أسود أو أزرق. أما عمامته وعمائم أمثاله، فكانت لفة على "لبدة" بيضاء. وكان قوي الجسم، متين البنيان، برغم أنه كان فوق الخمسين في أوائل طفولتي، وكان يساهم في العمل الزراعي مع ابني عمي. لم أره يشكو من مرض من الأمراض الشائعة بين الناس، فقد كانت الحركة له بركة، وكان سعيه وكدحه في سبيل عيشه من أسباب تمتعه بالصحة."[٢١٢]

ثم انظروا إلى جمال الوصف الداخلي في قلم القرضاوي في هذا المثال الرائع:

---

[٢١٠] "حياتي"، لأحمد أمين، ص١٣٢

[٢١١] "فن القصة، مقالة نقدية" للدكتور أحمد مثني، مكتبة الفارس ديرزور، ص٢٩٣

[٢١٢] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٠٥

"وهنا أذكر قصة زميلي وأخي وحبيبي عبدالوهاب البتانوني، الذي كان ينام ويصحو على الجهاد في فلسطين، كأنما هو قيس، وهي ليلاه. وكان عليه أن يتخطى العقبات في سبيل تحقيق رغبته المنشوده. كان عبدالوهاب شابا تقيا نقيا، صافي الروح صفاء البللور،يحلق في الأجواء الروحية، يكاد يطير بلا جناح."[٢١٣]

ش–المقارنة بين الأشياء:

يقدم لنا الدكتور يوسف القرضاوي المقارنة بين الأشياء لكي يتضح لنا الأمر أكثر، مثلاً يصور الحالة الاقتصادية في بيت جده، وبيته (وهو بيت عمه) بطريق المقارنة حيث يقول تحت عنوان "للناس بيت ولي بيتان: ... وكان بيت جدي يطبخ اللحم مرتين في الأسبوع، ونحن في بيتنا لا نعرف اللحم إلا يوم السوق. كما أن نوعية اللحم عند جدي كانت أجود وأرقى، فهي من نوع "الكندوز" أو "البتلّو" أي لحوم العجول الصغيرة، وثمنها أغلى، أما اللحم في بيتنا فكان من لحم الجاموس الكبير، وهو رخيص عادة بالنسبة إلى اللحم الآخر."[٢١٤]

ثم يقارن بين كتّابه والمدرسة الإلزامية التي التحق بها في السنة السابعة من عمره، حيث يقول:

"وجدت المدرسة غير الكتاب تماماً. من حيث المبنى ومن حيث المعنى. كان المبنى واسعاً، هو عبارة عن "فيلا" كبيرة لأحد أقاربنا من جهة أمي، وهو الشيخ أبو ريّا زغلول، الذي ترك القرية وأقام في مدينة المحلة الكبرى، وأجر بيته للمعارف أو لمجلس المديرية، ليكون مدرسة للقرية. كان المبنى من دورين، في كل دور عدة حجرات، منها حجرة للناظر، وحجرة للمدرسين، وحجرات هي فصول للدراسة... كان الكتاب كله فصلاً واحداً، وكانت المدرسة خمسة فصول. وكان للكتاب مدرس واحد، هو صاحب الكتاب، ولكن كان في المدرسة عدد من المدرسين. وكان الكتاب كله مرحلة واحدة، وكانت المدرسة مراحل، أو فرقاً، ينتقل التلميذ من مرحلة إلى التي بعدها، أو من فرقة إلى التي تليها. وكان الكتاب دراسة مستمرة صيفا وشتاء، لا نعرف إجازة إلا أيام الجمع والأعياد. أما المدرسة فهي تأخذ إجازة في الصيف."[٢١٥]

---

[٢١٣] المصدر السابق، ص٢٦٣

[٢١٤] "المصدر السابق، ص١١٣

[٢١٥] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص١٣١-١٣٢

ف- استخدام الحوار:

يلعب الحوار دوراً كبيراً في إبراز المعاني الذي يراد به الكاتب، وهو الذي يعطيه الروح ويمنحه الحياة ويشدّ القارئ إليه ويجذب انتباهه، رأيت استخدام الحوار في السيرة الذاتية للقرضاوي مثل الملح المناسب في الطعام، فهو لا يكثر فيه ولا يقلل إذ تكون هناك حاجة، مثلاً يقصّ لنا قصّة زيارة الداعية المجاهد الشيخ الفضيل الورتلاني، أحد رجالات الجزائر ومجاهدي علمائها المرموقين، فيشاركنا فيما جرى بينهما بأسلوب الحوار، أذكره فيما يلي:

"وفي هذا اللقاء حاول الشيخ الورتلاني أن يملأني ثقة بنفسي، فقال: أرى فيك مشابه من الأستاذ حسن البنا، وهذا يلقي عليك تبعات. فقلت له: يا أستاذ وأين يوسف القرضاوي من الأستاذ حسن البنا؟ وأين الثرى من الثريا؟

فثار عليّ وقال: لا تحقر نفسك، إن حسن البنا عنده قدرات ليست عندك، وأنت عندك قدرات ليست عنده، ومجموع مواهبك يؤهلك لتقوم بدور، فلا تنسحب منه، ولا تبخس نفسك حقها.

قلت: أسأل الله أن يجعلني أهلاً لثقتك وحسن ظنك.

قال: ستثبت لك الأيام حسن ظني.

قلت: أرجو الله. وقد قرأت في حكم ابن عطاء الله السكندري: إن الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذاماً لنفسك لما تستيقنه منها، أجهل الناس من ترك يقين نفسه لظن ما عند الناس.

قال: وهذا يزيدني ثقة بك."[٢١٦]

ق- الالتزام باللغة الفصحى:

يلتزم الدكتور يوسف القرضاوي باللغة الفصحة التزاماً تاماً، فوجدت قراءة سيرته الذاتية سهلة عذبة دون أي حاجز لغوي الذي يمنعني أن أفهم ماذا كتب الدكتور، ولكنني وجدت السيرة الذاتية لعبد الحميد جودة السحار صعبةً من هذه الناحية؛ لأنه استخدم العامية مرات عديدة، فما كان يمكن لي أن أفهما بسهولة، أذكر على سبيل المثال الحوار بين عبدالحميد جودة السحار وأم عباس ندابة وابنها عباس:

---

[٢١٦] "ابن القرية والكتاب" للدكتور يوسف القرضاوي، الجزء الأول، ص٤٨٤

"والتفت إلى أم عباس وقلت لها:

- المسمط مقفول ليه؟.

- قفلته الحكومة.

- ليه؟. ...

- **دبحوا فيه الشيخة صالحة. ... من ساعة ما دبحوها واحنا مش قادرين نفتح باب البيت في الليل، عفريتها طول الليل بيجري في الحارة.**

وقال عباس:

- امبارح طلع لي عفريتها.. خرجت بعد العشا أشتري عيش، وانا راجع حسيت باللى بينفخ في وشي، حطيت ديلى في اسناني وقلت يا فكيك.. جريت وجرى عفريتها ورايا لغاية ما دخلت وقفلت الباب.. وكنت ح اسقط من طولي."[٢١٧]

وأرى من المناسب أن أذكر رأي الدكتور يوسف القرضاوي في قضية الفصحى والعامية هنا، فهو يقول:

"والذي نود تأكيده هنا هو ضرورة التزام بالعربية الفصحى، والحذر من المحاولات المشبوهة لترويج اللهجات العامية المختلفة للشعوب العربية، فإنها تهدف إلى المباعدة بينها وبين القرآن والسنّة، كما تهدف إلى تثبيت الفرقة والتجزئة الإقليمية، التي تحرص على بقائها القوى المعادية للعروبة والإسلام. ... كما أن الفصحى هي التي تقرّب بين العرب وسائر ابناء الإسلام ممن يتعلمون العربية، فإنهم لا يتعلمون إلا الفصحى، ولا يستطيعون التفاهم مع الجميع إلا بها."[٢١٨]

وفي الجملة أقول إن السيرة الذاتية للدكتور يوسف القرضاوي مليئة بالعاطفة الصادقة والخيال الرائع، والتزم القرضاوي باللغة العربية الفصحى التزاماً تاماً؛ فما خلط العامية بالفصحى قط في الجزء الأول الذي درست من "ابن القرية والكتاب"، ويكتب الدكتور القرضاوي بأسلوب أدبي جذاب ذي شأن خاص.

---

[٢١٧] "هذه حياتي" لعبدالحميد جودة السحار، ص١٦-١٧

[٢١٨] "الإسلام والفن" للدكتور يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٣، ١٩٩٨م الموافق ١٤١٨هـ، ص٢٣-٢٤

خلاصة البحث

ونتائجه

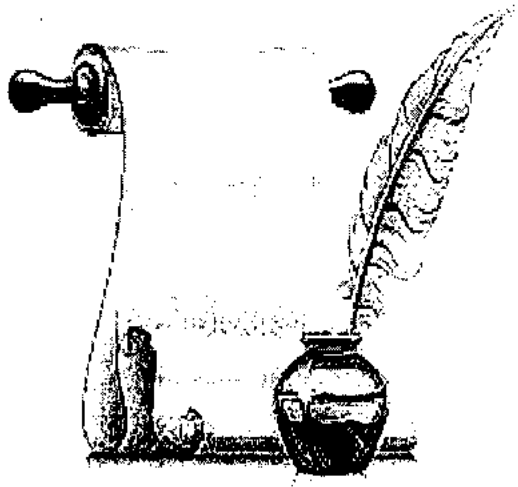

خلاصة البحث ونتائجه

الحمدلله الذي أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث: فالبحث مقسم إلى تمهيد وثلاثة فصول، في التمهيد تكلمت عن فن السيرةالذاتية؛ نشأته وتطوره وأهم أعلامه، ثم نبذة عن حياة الدكتور يوسف القرضاوي، أما الفصل الأول فقمت فيه بدراسة موضوعية لطفولة الدكتورالقرضاوي وصباه من خلال سيرته الذاتية التي كتبها في مؤلفه "ابن القرية والكتاب- ملامح سيرة ومسيرة" من بداية الكتاب حتى نهاية المرحلة الإبتدائية.

وأما الفصل الثاني فدرست فيه شباب الدكتور يوسف القرضاوي، فقلت إنه وقف ساعات شبابه للدعوة إلى الإسلام؛ فغلب على شخصيته لون الدعوة أكثر من الألوان الأخرى، وكان لا يبالي بالتعب والمشقة في سبيل الإسلام، وتحمل صعوبة الاعتقال بصبر جميل؛ فما ذكر آلام الاعتقال بالتفصيل، بل صور لنا تلك الأيام مليئة بالسعادة لأنه انتهز الفرصة للاستفادة من معية الصالحين؛ لأن الإخوان حولوا معتقلهم إلى جامعة، وجمعية، ومنتدى، كما تحدثت أيضاً عن شخصيته من ناحية طلبه للعلم فوجدته مجتهداً وذكياً، وتظهر شخصية القرضاوي كشاب قوي العزم ومتحمس، وصابر وقانع، لا يحب المادية، ويتوكل على الله في كل وقت؛ فهو حسبه، وأحس بإخلاصه للأمة الإسلامية عندما يشير إلى خطر الأعداء وضعف المسلمين، وينصحهم أن يعدوا لأعدائهم إعدادا جيداً، ويحاربوهم بطريقة استراتيجية، وله نظرة نقدية؛ فينقد المناهج التعليمية في المعاهد والأزهر وينقد الإخوان المسلمين؛ لأن الدين هو النصيحة.

وفي الفصل الثالث حاولت أن أدرس السيرة الذاتية للدكتور القرضاوي دراسة فنية من خلال المباحث التالية:

١- العاطفة ٢- الخيال ٣- البناء ٤- اللغة والأسلوب

وتكلمت فيه عن مدى استطاعته وقدرته على توظيف التراث (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتاريخ والحكم والشعر)، وتناولت أيضاً أسلوب القرضاوي واللغة التي استخدمها ،

وجئت ببعض النماذج التطبيقية للصور البلاغية (التشبيه والاستعارة والكناية) الواردة في السيرة الذاتية للقرضاوي. وأخيراً أنهيت بحثي بهذه الخلاصة الموجزة.

وأما النتائج التي وصلت إليها خلال هذا البحث فهي كالتالي:

أولاً: إن حياة الدكتور يوسف القرضاوي وعصره حافلة بالأحداث، حيث بدأ حياته في القرية الهادية الوادعة والبيت الكريم الذي رعاه وربّاه على الخلق الإسلامي الأصيل، ودار الزمن دورته له وعليه، ليدور القرضاوي في جولاته، حتى وجد نفسه في السجن، ثم أفرج عنه بعد عدة شهور، وشهد الاضطراب السياسي في مصر ومغارك القناة مع الاحتلال البريطاني.

ثانياً: تبين لي من خلال هذا البحث أن الشيخ القرضاوي صاحب أفكار إيجابية، وتميل طبيعته إلى اليسر وتكره العسر منذ نعومة أظفاره مع جميع الناس ليس مع نفسه فقط.

ثالثاً: لم يظهر أيّ ضعف في شخصية الدكتور يوسف القرضاوي كما لم يشفق على نفسه في سيرته الذاتية رغم يتمه المبكر. بل وجدته واثقاً من نفسه وقوي العزم.

رابعاً: ووجدته متمسكاً بالرأي الوسط في جميع شؤون الحياة، وحياته كلها تدور حول الدعوة الإسلامية، وبذل الجهد في النهوض بالأمة الإسلامية من حياة الذل والجبن والفرقة والتطرف، وقد دعا القرضاوي الأمة المسلمة إلى اختيار طريقة استراتيجية في اتّقاء شرّ أعدائهالحرب مع أعدائها.

خامساً: الروافد التي أثرت فيه وشكلت شخصيته فهي كالآتي:

- انتماؤه إلى أسرة متدينة راقية.
- التعلم من الكتّاب.
- الاستفادة من الأساتذة والمشايخ الكبار.
- الاكتساب من القراءة الموسّعة.
- التعلم من الأسفار إلى البلاد المختلفة.
- تحقيق مكاسب دينية ومعرفية كبيرة بانضمامه إلى حركة الإخوان المسلمين.

سادساً: اجتهد القرضاوي ما استطاع أن يكون صادقاً مع نفسه فيما يكتب، ويكون قواماً بالقسط ولو على نفسه، ولم يجرمنّه شنان قوم على ألا يعدل، وكان يحاول أن يركز على الإيجابيات لتحسن القدوة بها، ومع هذا يذكر بعض السلبيات لكي تؤخذ منها العبرة.

سابعاً: والقرضاوي ذو أسلوب خاص في الأدب فأسلوبه جذاب وسلس، دقيق ومؤثر، ونهجه قويم، ولغته فصيحة وألفاظه دقيقة معبرة، وتراكيبه قوية مرتبة.

وبالجملة أقول:

- أن الدكتور يوسف القرضاوي نشأ في جو من الحنان والرعاية في أسرة متدينة، واكتسب خيراً كثيراً من شيوخه المتميزين في جميع مراحل تعليمه، وحصل على اللآلي الثمينة من بحر الإخوان المسلمين الذي زيّن شخصيته زينة غير عادية؛ فظهر مثل نجم ثاقب في سماء الدعوة الإسلامية مع قدرته الأدبية وطبيعته المتوسطة وأفكاره الطيبة والإيجابية، وهو يضيئ العالم بنوره كل حين؛ فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يطيل في عمره ويبقيه ذخراً لنا، ويجعل البركة في صحته وإيمانه، اللهم آمين.

وأخيراً أعتذر عن تناولي قمة من قمم العلم، ولا أملك الأسلوب الجيد الذي يليق بها، والحق إني أعترف أنني خضت لجج بحر الدكتور يوسف القرضاوي (حفظه الله تعالى) وأنا لا أملك مقومات السباحة فيه، فما عندي إلا قطرات من بحر حياته الزاخر.

وأرجو ممن يطلع على هذا البحث المتواضع أن يعفو عما فيه من الخطأ والنسيان والزلل والزيادة أو القصور في الكلام، وأستغفرالله رب العرش العظيم لي ولسائر المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه وسلك منواله المستقيم إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحمي

"العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"،الجزء الأول، ط-٢، القاهرة، ١٩٥٥م

٢. إحسان عباس

"فن السيرة"، دارالشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٦م

٣. أحمد أمين

"حياتي"، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧١م

٤. أحمد هيكل، الدكتور

"تطور الأدب الحديث في مصر"، دارالمعارف، لبنان، ١٩٩٣م.

"الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة"، دارالمعارف، القاهرة، ط١٤

٥. أحمد مثنى، الدكتور

"فن القصة، مقالة نقدية"، مكتبة الفارس ديرزور، (ب- ت)

٦. اندرية موروا

"فن التراجم والسير الذاتية" (ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش)، المكتب الأعلى للثقافة-القاهرة، أغسطس ١٩٩٨م

٧. قاني عبد الفتاح شاكر

"السيرة الذاتية في الأدب العربي": فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا و إحسان عباس نموذجاً"

المكتبة المصطفي الالكترونية، الشبكة الدولية(انترنت).

٨. جابر قميحة، الدكتور

"مع التراجم الأدبية في العصر الحديث"، الجزء الأول، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م

٩. حسني أدهم جرار

"نفحات ولفحات- شعر د. يوسف القرضاوي"، دارالتوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠. رشيد البعيدي، الأستاذ

"دراسات في النقد الأدبي" الجزء الثاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٩م

١١. السيد أحمد هاشمي

"جواهر البلاغة"، مكتبة الآداب

١٢. سيد قطب

"النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، دارالشروق، القاهرة، ط٨، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣. شايف عكاشة

"نظرية الأدب"، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، (ب-ت)

١٤. شعبان مرسي، الدكتور

"الفنون الأدبية في العصر العباسي" نشره المؤلف نفسه، ط٢، ١٩٩٥م-١٤١٦هـ

١٥. شوقي ضيف، الدكتور

"في الأدب والنقد"، دارالمعارف- القاهرة، ١٩٩٩م

"الترجمة الشخصية"، دارالمعارف، القاهرة، ط٤، (ب.ت).

١٦. ضياء الصديقي، الدكتور، وعباس محجوب، الدكتور

"فصول في النقد الأدبي وتاريخه"، دارالوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة،ط-١، ١٩٨٩م

١٧. الطاهر أحمد مكي، الدكتور

"القصة القصيرة" دار المعارف، القاهرة، ط٨، مارس ١٩٧٨م

"القصة القصيرة-دراسة ومختارات"، دار المعارف القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م

١٨. طه حسين، الدكتور

"الأيام" الجزء الأول، دارالكتب اللبناني بيروت(ب-ت)

١٩. عبد الحميد جودة السحار

"هذه حياتي" مكتبة مصر الفجالة (ب-ت)

٢٠. عبدالقاهر الجرجاني،الإمام، الشيخ

"أسرارالبلاغة"، دارالكتب العربية،بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ

"دلائل الإعجاز"، دارالمعرفة بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٢١. عزالدين إسماعيل، الدكتور

"الأدب وفنونه"، دارالفكر العربي ، ط٨، ١٩٨٣م

٢٢. عصام تليمة

"القرضاوي فقيها"، دارالتوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٢٣. لويس شيخو اليسوعي، الأب

"كتاب علم الأدب في علم الإنشاء والعروض"الجزء الأول، ط٧، بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، (ب-ت)

٢٤. محروس منشاوي الجالي، الدكتور

"في الأدب المعاصر في مصر- دراسة أدبية نقدية"، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٧٩م.

٢٥. محمد طاهر درويش، الدكتور

"النقد الأدبي عند العرب" دارالمعارف القاهرة، ١٩٧٩م

٢٦. محمد عبدالغني حسن

"التراجم والسير"، دارالمعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م

٢٧. محمد عبدالمطلب، الدكتور

"البلاغة والأسلوبية"، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٤م

٢٨. يحي إبراهيم عبد الدائم، الدكتور

"الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

٢٩. يوسف القرضاوي، الدكتور، الشيخ

"ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة"، دارالشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م

"الإسلام والفن"، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٣، ١٩٩٨م الموافق ١٤١٨هـ

٣٠. "الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية"، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

المعاجم اللغوية والأدبية:

١. ابن منظور، العلامة

"لسان العرب"، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣، (ب. ت).

٢. أحمد بن فارس

"معجم مقاييس اللغة"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، حققه شهاب الدين أبو عمرو، (ب،ت).

٣. مجدي وهبة وكامل المهندس

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت، ط٢، ١٩٨٤م

٤. مجموعة من مؤلفين

"المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م

٥. محمد التونجي، الدكتور

"المعجم المفصل في الأدب"، الجزء الثاني، دارالكتب العلمية بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.

المقالات:

١. "التماس الفني بين السيرة والرواية"، سلطان سعد القحطاني، الدكتور (الشبكة الدولية)

٢. "رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل"، قحطان بيرقدار (الشبكة الدولية)

٣. "فن السيرة" مقال من الشبكة الدولية، اسم الكاتب غير مذكور (بتصرف)

فهرس المحتويات

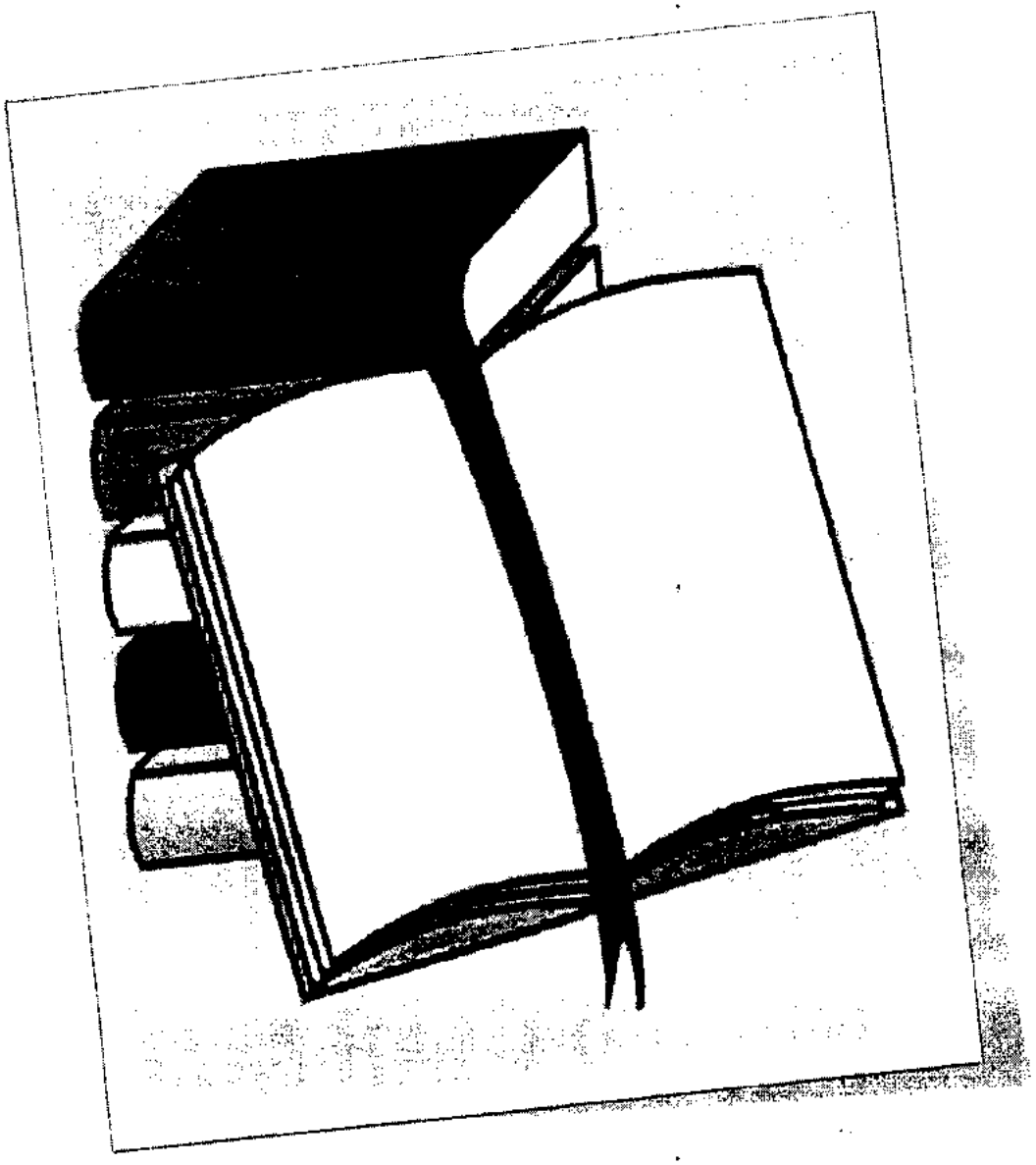

فهرس المحتويات

الإهداء د

كلمة الشكر والتقدير ه

المقدمة ح

المبحث الأول ١

فن السيرة؛ نشأته وتطوره وأهم أعلامه ١

الفرق بين كلمتي "السيرة" و "الترجمة" ٢

أنواع السيرة ٢

الفرق بين السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها ٣

أصناف السيرالذاتية..... ٤

تطور فن السيرة الذاتية في الأدب العربي وأهم أعلامه ٦

المبحث الثاني ٩

نبذة عن حياة الشيخ يوسف القرضاوي ٩

ولادته وأسرته ٩

اسمه ولقبه: ٩

نشأته ومؤهلاته: ١٠

أعماله الرسمية: ١٠

جهود فضيلة الشيخ القرضاوي في سبيل الإسلام والمسلمين: ١١

عضويته في مجامع علمية: ١٢
زياراته: ١٢
جوائز حصل عليها: ١٢
مؤلفات الشيخ القرضاوي: ١٣
نشاطه في الأدب: ١٩
آراء الآخرين عن الدكتور القرضاوي: ١٩
الفصل الأول ٢٣
دراسة موضوعية لطفولة الدكتور يوسف القرضاوي وصباه ٢٣
التمهيد: ٢٣
قرية صفط تراب: ٢٤
تبرك قريته بنزول الصحابي* فيها وأثر ذلك على شخصية القرضاوي: ٢٦
جوانب الحياة المختلفة في قرية صفط تراب: ٢٨
الجانب الديني في القرية: ٢٨
رأي الدكتور في شهر رمضان ٢٨
موقف أهل القرية من الزكاة: ٣٠
شيوخ القرية وتأثيرهم في الناس: ٣٠
موقفه من الطرق الصوفية: ٣١
ظاهرة الموالد والاحتفالات الدينية في القرية ورأي القرضاوي فيها: ٣٣
نظام الحياة اليومي في القرية وتأثيره عليه: ٣٥
الاهتمام بالقرآن والصدقة: ٣٦

موقفه من المعاصي في القرية والخلل في الفهم والسلوك: ٣٦
صورة التعليم الديني للمرأة في القرية: ٣٧
الحياة الاقتصادية في القرية: ٣٧
الحالة الاجتماعية في القرية: ٣٨
موقفه من الإقطاع الزراعي في مصر: ٣٩
الزواج في القرية: ٣٩
تعليق القرضاوي على منهج الطلاق في القرية: ٤٠
الخدمات العامة ومستوى النظافة في القرية: ٤٠
موقف أهل القرية من قضية الموت: ٤١
ظاهرة الفتوات: ٤٢
الحياة الثقافية في قرية صفط التراب: ٤٢
الحياة السياسية في القرية..... ٤٣
صورة عن أسرة الدكتور يوسف القرضاوي..... ٤٤
رأي القرضاوي في الرقي والتمائم: ٤٧
دور الكتاب في نشأة الدكتور القرضاوي:..... ٤٨
طريقة التعليم في الكتاتيب: ٥٠
الأيام التي مضت في المدرسة الإلزامية: ٥١
موقف القرضاوي من حفظ القرآن في الصغر:..... ٥٣
أول جائزة في حياة القرضاوي: ٥٤
تجارب القرضاوي في مجال التجارة: ٥٥

مرحلة البحث عن المستقبل العلمي: ٥٦
الطريق إلى الأزهر: ٥٨
نبوءة الشيخ خضر أبو شادى و تحقيقها: ٥٩
حياته في المعهد الديني بطنطا: ٦٠
الشغف وحب الدراسة: ٦٠
حادثتان مهمتان في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية: ٦١
أ. الاستماع إلى الشيخ حسن البنا: ٦١
ب. وفاة والدة القرضاوي: ٦١
فرصة القراءة المنظمة في الأدب العربي: ٦٣
الخطوات الأولى في نظم الشعر: ٦٤
إن مع العسر يسرا: ٦٤
دروس في الأدب والتربية والسلوك: ٦٥
الارتقاء في مجال العلم على يد محمد السيد الوزير: ٦٦
إلقاء الدرس الديني الأول في قريته: ٦٧
بعض الوقائع المهمة في حياة القرضاوي: ٦٧
الأحداث السياسية في تلك الآونة: ٦٩
تقييم الدراسة في المرحلة الابتدائية: ٦٩
الملاحظات العامة ورأيي في شخصية القرضاوي ٧٠
(من خلال فترة الطفولة والصبا) ٧٠
الفصل الثاني ٧٤

أهمية مرحلة الشباب: ٧٤
المرحلة الثانوية في المعهد الديني الثانوي: ٧٥
عهد الحرية والتمكين للأزهريين: ٧٥
أحب الأصدقاء إلى القرضاوي: ٧٥
أول عمل أدبي في مجال المسرحية: ٧٦
شيوخ القرضاوي في المرحلة الثانوية: ٧٦
الأحلام غير المحققة: ٧٧
أسفار مجانية: ٧٨
زعامة المعهد ودورها في قضايا الأمة المسلمة: ٧٩
مناهج المرحلة الثانوية: نظرة نقدية: ٨٠
علم الفقه: ٨٠
علم التوحيد: ٨٠
علم التفسير: ٨١
علم الحديث: ٨١
العلوم العربية: ٨٢
النحو والصرف: ٨٢
علم البلاغة: ٨٢
تاريخ الأدب العربي: ٨٢
القراءة والمحفوظات: ٨٣

علم المنطق: ٨٣
التاريخ: ٨٣
العلوم الكونية: ٨٤
غياب اللغة الأجنبية: ٨٤
غياب روح الدعوة: ٨٥
دروس فقهية في القرية: ٨٥
وباء الكولراء: ٨٦
التقاؤه بالإخوان: ٨٦
اشتراك القرضاوي في القضايا الوطنية: ٨٧
نشاط دعوي مكثف: ٨٨
واقعة دعوية لا ينساها القرضاوي: ٨٨
أيام التربية تحت رعاية الشيخ البهي الخولي: ٨٩
شعر القرضاوي الذي ضاع: ٨٩
الثمرات التي حصل القرضاوي بإنضمامه إلى الإخوان المسلمين: ٩٠
وقفة نقدية مع الإخوان: ٩١
حادث حل الأخوان وانغماس النجم الثاقب: ٩١
قصة اعتقال القرضاوي: ٩٢
الروح الدعوية حتى في السجن: ٩٣
علاقة القرضاوي مع الأدب العربي في حالة الأعتقال: ٩٥
عودته إلى القريه بعد الاعتقال: ٩٥

استعداد لامتحان الثانوية: ٩٥
تخطيط الخطة لالتحاق بكلية أصول الدين: ٩٦
نموذج من حلم القرضاوي: ٩٧
تتبع النشاط الثقافي في القاهرة: ٩٧
ثقة الشيخ محمود شلتوت بالقرضاوي: ٩٨
المعارك بالقلم: ٩٨
النشاط الإخواني والقرضاوي: ٩٨
لقاء القرضاوي مع الشيخ أبي الحسن علي الندوي: ٩٩
المشكلات الاقتصادية وحلها: ٩٩
معارك القناة مع الاحتلال البريطانية والقرضاوي: ١٠٠
رحلات القرضاوي إلى بلاد الشام: ١٠١
تطواف مدن الصعيد: ١٠١
امتحان الشهادة العالمية: ١٠٢
امتحان التعيين والقرآن: ١٠٣
وقفة مع مناهج كلية أصول الدين: ١٠٣
الملاحظات العامة ورأيي في شخصية القرضاوي من خلال فترة الشباب: ١٠٤
الفصل الثالث ١٠٧
دراسة فنية لسيرة الدكتور يوسف القرضاوي ١٠٧
العاطفة ١٠٧
الخيال: ١١٥

التشبيه: ١١٦
الاستعارة: ١١٧
الكناية: ١١٩
البناء: ١٢٢
الأحداث: ١٢٣
الشخصيات: ١٢٤
الزمان والمكان: ١٢٥
اللغة: ١٢٥
ألألفاظ: ١٢٦
ا- السهولة والصراحة والوضوح ١٢٦
ب- الدقة في اختيار الألفاظ ١٢٧
ج- جزالة الألفاظ ومتانتها: ١٢٩
التراكيب: ١٢٩
ب- حسن التأليف: ١٢٩
ب- جودة الصنعة ودقة المعاني: ١٣٠
الأسلوب: ١٣١
ا- حسن الابتداء: ١٣٢
ب- الاستشهاد بالآيات القرآنية وأحاديث النبوية: ١٣٣
ج- الاستشهاد بالتاريخ والأشعار والأقوال السلف الصالحين: ١٣٣
د- جمال الأمثال في سيرة القرضاوي الذاتية: ١٣٤

س- الوصف: ١٣٥

ش-المقارنة بين الأشياء: ١٣٦

ف- استخدام الحوار: ١٣٧

ق- الالتزام باللغة الفصحى: ١٣٧

خلاصة البحث ونتائجه: ١٤٠

المصادر والمراجع ١٤٤